أنثروبولوجيا الاتصال

الدكتور تيلوين مصطفى



دار الحامد للنشر والتوزيع



أنثروبولوجيا الاِتصال

أنثروبولوجيا الاتصال

مصطفى تيلوين

باحث من الجزائر أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية * جامعة وهران 2 الجزائر *

متخصص في الدراسات الابستيمولوجية المعاصرة

إهداء

إلى ذكرى الغائبين

إلى روح والدي وأخي

إلى كل أجلّاء الفكر وعظمائه

إلى كل الذين ضحّوا بجهودهم وأوقاتهم وأرواحهم من أجل أبدية الحقائق، وإنارة العقول الإنسانية التي وهبوها العناصر الضرورية بهدف التقدّم والتطوّر الفكري والمادي.

تيلوين مصطفى

الفهرس

المقدمة

المقدمة

إن الإنســـان بطبعه كائن يتحاور ويتناقش وعلى حد تعبير هابرماس إنه كائن خطابي، من هنا نؤكد على حقيقة مفادها أن الإتصـــال هو أرقى شـــكل للتعبير عن إجتماعية الوجود الإنســاني ســواءا في صـــراعاته اليومية والأنطولوجية، أو في حياته العادية، البســـيطة والنمطية، ويعيش تجربته اللغوية كفعل تواصـــلي منظم ومنذ السبعينات من القرن الماضي تطورت الأبحاث حول إشكالية التواصل. لتشمل مختلف الميادين لاسـيما مجال العلوم الإنسـانية التي تحمل في طبيعتها وأهدافها بعدا إنسـانيا ينشـد على الدوام فكرة الحرية، وجاء النشـاط التواصـلي المدعم بالترسـانة التكنولوجية المتطورة كحدث متميز لتفعيل قيمة الحرية لدى الإنسان المعاصـر، فأصـبح التواصـل براديغما جديدا يحكم العلاقات البين ذاتية بين الأفراد، واجتهد المختصـــين في هذا المجال لغرض تحديد ووضـــع قوانين عامة براغماتية وإلزامية لتقنين وعقلنة الفعل التواصـــلي، ولقد حازت الأنثروبولوجيا على حظ وافر في هذا المجال التواصـــلي، إذ حـاولـت البحـث في تكييف المنجزات والنتـائج العلميـة التي تحققـت في المجـالات المعرفية الأخرى، كالفلســـفة علم النفس، علم الإجتماع، التاريخ والســـيبرنطيقا مع موضوعاتها المدروسة لتؤسس لإمكانية بناء عقل تواصلي خاص بها في بعده العملي، بمعنى أن الذات المعاصـرة أصـبحت قادرة على التواصـل والإلتزام بأفعاله واقعيا بعدما كان التواصل منغلقا على مجموعة من المقولات ووعي يحكمه كوجيتو دوغمائي مفارق للواقع ومن هذا المنطلق تبرز إشـــكالية مهمة تتضـــح معالمها من خلال التســـاؤلات التالية: أي تواصـــل لأية أنثروبولوجيا؟ بماذا إســـتفادت الأنثروبولوجيا من التواصـــل ؟ وفي نهاية الأمر: ما هي الأنثروبولوجيا التواصـــلية؟ وما هي موضـــوعاتها والقوانين والميكانيزمات المتحكمة فيها؟ وما هي النظريات الكبرى التي فعّلتها وأعطتها ديناميكية وحيوية فكرية وأكاديمية؟ ما هي أبعادها وغاياتها ؟ وإلى أين وصـــلت أنثروبولوجيا الإتصال من حيث التنظير العلمي والأكاديمي؟.

لقد تشـــكلت أنثروبولوجيا الإتصــــال من حيث الموضـــوعات والمفاهيم، الإســـتراتيجيات والغايات لتجعل من نفســها معرفة قائمة بذاتها والاســتفادة من نتائج العلوم الإنســـانية والتقنية المختلفة، إن العقل المركزي في الذات التي تدرســـها أنثروبولوجيا الإتصـــال تجد معايير عقلانيتها من خلال شـروط الحقيقة ونجاحها في الواقع ويتجلى ذلك من خلال تنظيم العلاقات بين الذات التي تعرف وتفعل في نفس الوقت، والهدف من ذلك هو تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف المرتبطة بعالم الموضوعات والأشياء الممكنة. وفي اللحظة ذاتها أصبح بإمكان أنثروبولوجيا الإتصال أن تجعل من معارفها أكثر تواصــلا وإنتشـــارا مؤســـســـة لعقلانية مرتبطة بما يملكه الأشـخاص من قدرة على التفاعل مع الآخرين أولا، وعالم الأشـياء الممكنة ثانيا، وهذا طبعا يتطلب مســؤولية أخلاقية للمشــاركة في هذا التفاعل وتوجيهه حســب متطلبات الواقع أولا والحقيقة التي تبحث عنها الذوات وتعزم الإرادة من أجل التواصل فيما بينها. ومع مرور الوقت وتغير الوقائع وتنوع الموضــوعات بدء عقل تواصــلي في التشــكل محددا معايير وشـــروط للعقلانية المرتبطة بمجموعة من الحجج والبراهين المدعمة للحقيقة والمؤكدة على معيار الصــدق الذاتي والإنســجام الجمالي لفعل التواصــل، إن التفاعلات الإجتماعية بمختلف بنياتها وتمظهراتها ســواءا كانت في شـكلها الثابت أو المتغير، تحاول على الدوام أن تتأســـس من خلال ما تطرحه النظريات الكبرى في تفســـير التطور الإجتماعي والأنظمة الإجتماعية المرتبطة به، وهذا ما يفتح مجموعة من الإمكانيات للتفاعل بين الذوات دون إحداث أزمة تواصــلية قد تنتهي إلى القطيعة، ولن يتأت ذلك إلا من خلال التعاون بين طرفي الإتصـــال من أجل إنجاح هذا الفعل والتركيز على نتائجه إن الغايات والأهداف هي المحفزة لفعل التواصل في هذا السياق، وإن تسلسل أفعال الذوات مرتبط بالحسابات الذاتية التي يجنيها كل طرف من خلال هذه العملية وهذا ما ســـماه هبرماس بالتواصـــــل الإســـتراتيجي، إن درجة التعاون والإستقرار في فعل التواصل مرتبطة بالمصالح التي يحققها المشاركين في هذا الفعل على أرض الواقع، وهنا تلعب اللغة والثقافة دورا إســتراتيجيا في عملية التواصـــل دون

إهمال دور القدرات والملكات النفسية والعقلية، فقد يتطلب التواصل الناجح ذكاء معين وحالة نفسية مستقرة.

إن التواصل لا يهدف فقط لخلق سلسلة من العلاقات مع العالم والثقافة، وإنما متطلباته أرقى من ذلك، إنها تتجلى بالأحرى في صيرورة بناء مجموعة من الهويات الفردية والجماعية أو المجتمعية، وهكذا تأكد أن ضرورة التبادل الثقافي تعتبر أساس لبناء هذه الهويات وخلق مجموعة من التفاعلات الإيجابية فيما بينها فلا يتحقق التواصل بدون تحديد هوية الأشخاص وثقافتهم المرجعية أو الأصلية إن الهوية هي عنصر أساسي لتأمين العلاقات بين المتحاورين، وأكثر من ذلك هي إختزال للفوارق والمسافات الموجودة بين الأفراد، الطبقات والثقافات، إن الهوية هي تأمين ضد أخطار المجهول والتخفيف من درجات التخوف والقلق والتوتر عند الإتصال والتعامل مع الآخر. ومن هذا المنظور يلعب التواصل دورا إستراتيجيا ومهما في التبادلات الثقافية والتي من خلالها تتأكد هوية الأفراد، وهي نفس الوقت الكشف عن الدوافع المتحكمة في سلوكاتهم، إن الهوية تعبر عن الشكل الحقيقي للمتحاورين من خلال الأدوار التي يمارسونها في سياقاتهم الثقافية والإجتماعية، إن الهوية تحتاج في عملية بناءها إلى عناصر كثيرة ومن أبرزها ملكة الخيال التي تفتح إمكانية لبناء عالم مستقبلي تشترك فيه كل الطاقات دون إستثناء وهذا بديهي وذلك لأن الإنسان بطبعه يتأرجح بين عالم الواقع وعالم الخيال ويتجلى ذلك من خلال إبداعاته الفنية والجمالية المجسدة في الشعر، الرسم والكتابات الدينية والروحانية، إن الخيال تيار يؤسس للتفاعل بين كل أشكال الثقافات وحتى الأفراد، وحسب الكثير من المختصين في مجال العلوم الإنسانية وخاصة فيما يتعلق بأبحاثهم الميدانية إن ظاهرة العنف وإنتشارها في المجتمعات لاسيما عند فئة الشباب ترجع لسبب مهم وهو غياب ثقافة الحلم والخيال.

هذا وباختصار أن الخيال والحلم مجالين مفتوحين لتشكيل وبناء عوالم مستقبلية أساسها التنوع والإبداع الثقافي بمختلف أشكاله وهذا ما يثري ويغني فعل التواصل إن التواصل هو بمثابة أسطورة مركزية لمجتمعاتنا المعاصرة المنقسمة بين الإختلاف

والتخوف من خطر فقدان هويتها التي تعتبر جزءا من شخصيتها المعنوية وثقافتها وأهم ما يميز التواصل في عالمنا المعاصر هو قدرته الفائقة على جعل الفرد يتكيف مع صعوبات الحياة وتعقيدتها، وذلك من خلال الإكتساب والتعلم وجعل الأفراد يندمجون بسهولة فائقة ضمن مختلف الأنسقة الثقافية والجماعات التي ينتمون إليها. إن التواصل يتطلب التكوين المعرفي والعلمي لمقاومة ضغوطات الحياة اليومية والآخر، إن التحكم في أنظمة وأنساق التواصل مرتبط بالضرورة بإمكانه الحصول على المعلومة، أي أن التواصل الراقي والجيد يجب أن يتناسب ويوازي مسار التطور المعلوماتي، وهذا ما يمكن الأفراد والمجتمعات من الإنتقال من المحلي إلى الكوني والعالمي وهذا إختزال حقيقي للحدود والمسافات وفي هذا المجال تلعب التقنيات العلمية دورا مهما وبارزا في نشر المعلومة وتدفقها بسرعة وهذا ما يساعد في البحث عن فضاءات تتنوع بين ما هو مادي وبين ما هو إجتماعي وعلائقي وهذا ما يتجسد بامتياز من خلال شبكات التواصل الإجتماعي.

إن مساحات التواصل تزداد يوما بعد يوم، بفضل هذه التقنيات التي قلصت المسافات وجعلت من العالم فضاءا صغيرا، إن سرعة وسلطة التواصل مرتبطة بمدى تطور التقنيات وهكذا أصبح إلزاما على الأنثروبولوجي أن يلعب دورا مهما من خلال إيجاد حلول وإعطاء أجوبة لهذه التحديات التي أفرزتها وسائل الإعلام الجديدة، إن نهاية القرن العشرين يمكن أن نصفها بأنها إنتصار للإتصال بمختلف وسائله الإعلامية كالتلفزيون، وسائل الإتصال الجماهيري والأنترنت ... إلخ.

وهذا ما أثر على مختلف النشاطات الإنسانية، إن هذه الهيمنة إتخذت أشكالا مختلفة أهمها ما نلاحظه من خلال إيديولوجية العولمة التي تؤكد على إنتصار الإنسان الإقتصادي الليبرالي المستهلك الذي تقوده وتوجهه القيم المادية والبراغماتية وهنا تكمن مسؤولية الأنثروبولوجي في إيجاد طرق للحد من حالة اللاتوازن التي أفرزتها ضده القيم الليبرالية والبراغماتية، وذلك من خلال النقاشات الكبرى، التنظيرات والأبحاث الميدانية والحقلية التي يقوم بها من أجل إعادة الإعتبار لثقافة القديم المبنية على القيم

والمعاني الروحية، إن الأنثروبولوجي أكثر وعي من أنّ فقدان الذاكرة الثقافية هو خطر يهدد الهوية، وقد يقضـــي على حالة الاختلاف والتنوع بين الثقافات إن مجتمعات التواصل بالرغم من إستعمالاتها الإيجابية للمعلومة والمتمثلة في الحفاظ على تجليات الديمقراطية في الواقع، إلاّ أن الحقيقة تؤكد على أن وســائل الإتصـــال رســخت لديكتاتورية وشمولية المعلومة من خلال مجموعة من الأقليات التي تملك سلطة المال والقرار ونشـر المعلومة وهذا ما تحاول أنثروبولوجيا الإتصـال أن تتصـدى له وتتحداه لإعطاء معاني جديدة وخلق روح إنسانية خالصـة، تشرع وتقنن لتواصل حقيقي، بعيد عن صــرامة وقواعد مهنة وقيم الإتصــال، ولهذا بالذات حاول الأنثروبولوجيين البحث فيه من خلال التنظير لمجموعة من التيارات والمدارس التي تنســجم مع روح وطبيعة العلاقات الإنسانية.

ومن أبرز هـذه المـدارس نجـد مـدرســـة رجيس دبيري RegisDebray الأنثروبولوجي والفيلسوف ورجل الإعلام الفرنسي المعاصر، الذي أكد على أن الصورة أصــبحت بمثابة إمبراطورية العصـر لأنها تتضـمن رموزا وخطابات تلح على ما هو معياري وحقيقي في مجال التواصـل مثل العدل واللاعدل. الجميل والقبيح، الإنســاني والعنيف أما ديفريليو Devirilio فيؤكد على أن عملية أو فعل التواصـل أصبح بمثابة ميتافيزيقا جديدة أعطت قوة كونية للإنســان، وبالتالي تحولت الثقافة المعاصــرة من بعدها الإثني المغلق إلى بعد وفضـاء إنسـاني كوني هدفه تقويم إنحرافات المجتمعات المعاصرة التي أصبحت مجتمعات إتصـال بالدرجة الأولى، أما نايل باوستمان Neil Postman الأنثروبولوجي الأمريكي المعاصــــر يؤكد على أن الثقافة تحولت إلى صناعة وهذا ما أثر على وسائل الإعلام التي أصبحت خاضعة وتابعة لهذه الصناعة فشـــغلها الشـــاغل هو الربح المادي حتى ولو تتحقق على حســـاب القيم الروحية والإنسانية، ولقد دافعت هذه المدرسة عن الأبعاد الحضارية والتربوية لمهنة الإعلامي، وتختلف هذه المدرســة عن مدرسة هبرماس فهذه الأخيرة تؤكد على الجانب العقلاني الصــارم في عملية التواصــل والتعامل مع المعلومة بينما نايل باوســتمان يؤكد على

الجانب الإنفعالي والإنساني كأساس من خلال تحقق فعل التواصل نتائج أنجع في نشر المعلومة وتقبلها.

وهكذا يمكن التأكيد على أن أنثروبولوجيا الإتصال تعتبر بمثابة فلسفة عملية هدفها التأكيد على أن الإنسان وما يملكه من قيم ومعاني سامية هو الأصل والمركز والغاية لتحقيق إستراتيجية الإتصال المعاصر، الراهن والكوني. وبدون هذه الشروط والمعايير الإنسانية يكون الإتصال فارغا في محتواه وعبارة عن مبادئ وقواعد جوفاء بلاروح وهذا ما يشكل خطرا على الديمقراطية كنظام سياسي وإقتصادي حسب كارل بوبر.

المحور الأول

مقاربات مفاهيمية بين الأنثروبولوجيا والإتصال

المحور الأول : مقاربات مفاهيمية بين الأنثروبولوجيا والإتصال

ضبط وتحديد المفاهيم:

1-الإتصال: (La communication)

أ- تعريف إشتقاقي لغوي: " مصطلح أو لفظ إتصال يترجم إلى اللغة الفرنسية بكلمة Communication المشتقة بدورها من الأصل اللاتيني Communicatio ومن الفعل Communicare وتعني أن تكون في علاقة ما أو في وضع مشترك "[1].

ب-المعنى الضيق: " الإتصال معناه إرسال المعلومات مثل الإتصال بين الحيوانات أو بين الخلايا في الجسم "[2].

ج-المعنى الواسع: " الإتصال هو أن نكون في علاقة مع شخص آخر على سبيل المثال: الإتصال من خلال الهاتف "[3].

د- تعريف سوسيولوجي: " الإتصال هو مجموعة من القواعد والوسائل التقنية التي تساعد على تبادل المعلومات أو مجموعة من التبادلات الإجتماعية تحت أشكال مختلفة كالتبادل في الممتلكات وبين الأشخاص وقد تستعمل كلمة إتصال في الجانب الإجتماعي بمعنى الحوار "[4].

هـ- تعريف عادي بيولوجي، إعلامي، فلسفي وعلمي: " هو فعل تواصل ونتيجة لهذا الفعل في نفس الوقت، واليوم نتيجة تأثير السيبرنطيقا والبنياوية والكيمياء

---

(1) Elisabeth Clement et autres, la philosophie de A à Z, Hatier, Paris. 1994, P : 56.
(2) Ibid, P : 56.
(3) Ibid, P : 57.
(4) Ibid, P : 57.

الجزئية. فإن الإتصال يعني كل صيرورة يتم من خلالها تبادل ونقل المعلومات "[1].

و-تعريف سيكولوجي وفلسفي: " هو فعل من خلاله يخرج الوعي من فردانيته ليدخل في علاقة مع الآخر من خلال الفهم والتعاطف، وقد يعتي كذلك حوار ونقاش أساسي بين الآنا والآخر "[2].

2-الإتصال والتبادل:

" إن لفظ إتصال ينطبق على مختلف أشكال التبادل الإجتماعي وعادة ما يشير إلى فعل نقل وتبادل الإشارات والرسائل، وقد يعني كذلك مختلف أشكال تبادل الممتلكات، وكذلك التبادل بين الأشخاص، وفي معناه الواسع قد يعني الإتصال مختلف نشاطات الحياة الإجتماعية، وقد يشير هذا المفهوم إلى مختلف ظواهر نقل وتبادل الإشارات التي يتضمنها أو يحملها عالم الحياة "[3]. وفي القرن العشرين إرتبط فعل الإتصال بشكل خاص بوسائل وتكنولوجيات التواصل والمعلومات مثل الصحافة، الراديو الأقمار الصناعية وكذلك السينما والإشهار والتلفزيون إن وسائل الإتصال الجماهري أصبحت في هذا القرن عبارة عن مجموعة من الشبكات هدفها إرسال ونقل إشارات معبّرة عن المجتمعات الصناعية، فعلى سبيل المثال الصحافة المرئية أو السمعية البصرية هي أكبر دليل على ذلك، وأهم خاصية لهذه الظاهرة وهي ظاهرة الإتصال.

---

(1) Noëla Baraquin et autres, dictionnaire de philosophie, Armand Colin, Paris, 2007, P : 61.
(2) Ibid, P : 62.
(3)Apel, L'éthique à l'âge de la science, le çerf, Paris, 1987, P : 32.

3- الإتصال والجماعة:

إن الإتصال الإجتماعي يتّخذ ثلاثة أشكال رئيسية أهمّها:

- **الشــكل الأول:** " إن الإتصـــال في هذا الشــكل أو المعنى يرتبط بلعبة الكلام بين الأفراد ويمتاز هذا الشكل بالعفوية والمجانية، شعاره " الكلام من أجل الكلام ": لكن شروطه هي: التعاطف، الحاجة والرغبة في التواصل "[1].
- **الشــكل الثاني:** " هنا يتجلى الإتصـــال ويتمظهر من خلال وســائل الإتصـــال الجماهيري المرتبطة بوظيفة إجتماعية تخضـع لأوامر أهمها إقتصـادية وسياسـية، وهي بالأســـاس أوامر ضـــاغطة مقيّدة ومقننة وهذا ما جعل من فعل الإتصـــال خاضعا لأبعاد إيديولوجية تحد من مساحة الحرية في هذا المجال "[2].
- **أما الشـكل الثالث:** " فيمكن الإصـطلاح عليه بالإتصـال المؤسسـاتي، وهذا النوع يرتبط بمجموع المنظمات والمؤسسات الإجتماعية، الثقافية، السياسية والإقتصادية التي تحدّد هوية مجتمع ما باختصـــار إن هذا الشـكل من الإتصـــال يرتبط بمفهوم الجماعة من خلال مصطلح مؤسسات سواءا كانت ديمقراطية أو ديكتاتورية "[3].

4-الإتصال والمعلومة:

تعتبر اللســـانيات والرياضـــيات من أهم المعارف والقنوات التي إســـتعملتها تكنولوجيات الإتصـــال لغرض نشـــر المعرفة والمعلومة، ولقد ألف عالم اللســـانيات (Jakobson Roman) رومان جاكبسـون، عمله الشـهير محاولات حول اللسـانيات العامة عام 1963 مؤكدا على دور الرياضـيات كأداة لنشـر المعلومة لكن جاكبسـون رأى: " أن الرياضـــيات وحدها غير كافية فزاوج بينها وبين اللســـانيات لتكتمل عملية نشر المعلومة، باعتبار أن الإتصال يرتكز على اللغة في شكلها الرمزي "[4].

---

[1] Ibid, P : 36.
[2] Ibid, P : 39.
[3] Ibid, P : 56.
[4] SHANNON et WEAVER, théorie mathématique de la communication, Retz, France, 1976, P : 12.

ويصنف رومان جاكبسون قائلا: " إن الإتصال هو نشر للمعلومة عن طريق اللغة الرمز المستقلة عن المتكلم ويعرفها ويدركها المجتمع "[1]. وفي هذا المجال وضع جاكبسون خطاطة على النحو التالي: السياق ← الرسالة ←المرسل ←الإتصال ← الرمز ←المرسل إليه.

5-إيتيقا الإتصال:

إبتداءا من السبعينات ظهرت أعمال هبرماس وكارل أتو أبيل (Karl Otto Appel) التي إرتبطت بموضوع إيتيقا الإتصال أو أخلاقيات الإتصال، إستلهم هبرماس وأبيل مجموع أفكارهما من الفلسفة البراغماتية في مجال اللغة والمأخوذة من التقليد الفلسفي التحليلي للفيلسوف اللغوي Austin أوستين، ففي تصور كل من هبرماس وأبيل ونقلا عن أوستين فإن الإتصال: " يتحدد من خلال مجموعة من العلاقات البين ذاتية التي لها القدرة على الكلام والفعل في نفس الوقت عندما يتفاهم الذوات فيما بينهم "[2]. وفي مجال آخر يؤكد كارل أتو أبيل: " أن كل إتصال هو تفسير، وبالتالي يتأسس تأسيسا عقلانيا أذاته في ذلك هي الحوار بالحجة، وهذا إعتراف بعقلانية متبادلة بين الذوات المتكلمة "[3]. ومن هنا أكد أبيل " أن أخلاقيات الإتصال مؤسسة على مبدأ عقلاني، وأن الإعتراف بقيمة أي إتصال هو إعتراف بالشخص الذي نتواصل معه "[4].

- إن مصطلح الإتصال يرتبط بمفاهيم ومصطلحات تؤكد معانيه ووظائفه العميقة ومن بينها مفهوم المناقشة أو النقاش، من هنا نتساءل ما النقاش وما علاقته بالإتصال ؟

---

[1]Ibid, P : 62.
[2] HABERMAS, de l'éthique de la discussion, çerf, Paris, 1987, P : 16.
[3]Apel, éthique de la discussion, çerf, Paris, 1992, P : 69.
[4] Ibid, P : 89.

6-تعريف المناقشة أو النقاش:

1-تعريف لغوي: " مصطلح المناقشة بالفرنسية (Discussion) مشتق من الكلمة اللاتينية (Discussio) ومعناه: الإرتدادات أو ما يصطلح عليه باللغة الفرنسية Secousse ويشتق من الفعل اللاتيني (Discutere) ومعناه: السقوط، أو الإختبار أو الإمتحان أوالتوضيح "[1].

2-تعريف فلسفي:

أ- " النقاش هو شكل من أشكال الإتصال يتميز بالحجة لوضع حد للإدعاءات الذاتية حول إشكالية الصدق، فالنقاش هو إختيار لصحة أو كذب هذه الإدعاءات من خلال منطق الحجج ولهذا النقاش يتخذ شكل المناضرة المؤسسة أو المبنية على الحجة وهذا في مقابل الحوار أو الكلام، اللذان لا يتطلبان التبرير والحجة، وبما أن النقاش هو إتفاق وتوافق بين طرفين، فهو نشاط تواصلي، خاصيته وشرطه الوضوح، التبرير والحجة "[2].

ب- في منطق الفلسفة: " يعتبر النقاش مقولة تندرج ضمن المقولات الثلاث للفكر اليوناني ويتجلى ذلك من خلال مفهوم (Parrhesia) بالإغريقية وهذه المقولة مهمة لدى سقراط وهي تعبر عن الجرأة والشجاعة في قول الحقيقة من خلال النقاش "[3].

ج- إضافة إلى هذا يرتبط مفهوم الإتصال بمفاهيم ومصطلحات أخرى تعطيه دلالات أعمق ومن بينها نجد مفهوم الحوار.

-**تعريف لغوي:** " بالفرنسية (le dialgue) مشتقة من الكلمة اليونانية (Dialogos) ومعناها الأخذ والرد في الكلام "[4].

---

[1]Noella Baraquin, et autres, Dictionnaire de philosophie ARMAND Colin, Paris, 2007, P : 100.
[2] Gürjen Habermas, Morale et communication, çerf, Paris, 2004, P : 209.
[3]Jean Kirsher la philosophie de ERIC Weil, Puf, Paris, 2010, P : 21.
[4]Op-cit : Noella et autres, Dictionnaire de la philosophie, P : 96.

- **تعريف فلسفي:**

أ. الحوار السقراطي: "هو فن يعتمد على السؤال والجواب من أجل الوصول إلى المعرفة الحقيقية، والتخلص من التناقضات والإلتباسات وتحرير الفرد من الرأي والظنون لتحقيق الماهيات والوصول إلى الكليات"[1].

ب. في سياقات الفلسفة الغربية المعاصرة: " يعتبر الحوار هو الآخر أو هو في مرادف الآخر، الذي إما يقبل هذا الحوار أو يقابله بالعنف والدوغمائية والفكر الشمولي التسلطي "[2].

د- كذلك يرتبط مفهوم الإتصال بمفهوم المعلومة

-تعريف لغوي: " Information مشتقة من الكلمة اللاتينية (Informare) ومعناها إعطاء شكل ما أو تعليم "[3].

-تعريف إجتماعي: " إن فعل إعطاء المعلومة يعني الإتصال بشيء ما، وبمعنى آخر: المعلومة هي محتوى أو مضمون يبعث من طرف مرسل إلى مرسل إليه، ويعتبر شانون هو أوّل من وضع نظرية للمعلومة أساسها الإحصاء، أي إحصاء الإشارات وقنوات الإتصال "[4]. وتطورت نظرية المعلومة كذلك من خلال السيبرنطيقا مع واينر – نوربار (العالم المختص في علم السيبرنطيقا وهو أمريكي الأصل).

" الذي جعل من المعلومة فعلا وصيرورة تتحكم فيها ثلاثة شروط التحكم، المراقبة والإتصال الإرجاعي Feed back أو ما يسمى كذلك بالسببية الدائرية، وهذه النظرية طبقت في الأنظمة الحاسوبية أو ما يسمى باللغة المصطنعة والتي سمحت

---

(1) ERIC WEIL, Philosophie et réalité, Beauchesne, Paris, 2003, P : 279.
(2) MARCEL-CONCHE le Fondement de la morale, édition de Mégare, Paris, 2000 P : 38.
(3) Op-cit, Noelle Baraquin et autres, Dictionnaire de la philosophie, P : 185.
(4) VINCENT, Descombes, la denrée mentale, Minuit, Paris 1980, P : 136.

بالتحكم في الرموز التي ترتبط بحل مشـــكلات المعلومة "[1]. وفي هذا الصـــدد أكد لفيلسوف واللساني الأمريكي نعوم تشومسكي الذي صرح بأن " نظام اللغة المشتق من نظرية المعلومة لا يمكنه أن يطبّق على اللغة الطبيعية "[2]. وتعتبر نظرية شانون من النظريات المهمة كذلك في مجال المعلومة، ولقد سـميت بنظرية الرياضـيات ونظرية الإتصـال كذلك، باعتبار أن شـانون كان من المختصـين في هندسـة الهواتف، هذه النظرية تؤكد على أن موضـوع المعلومة يرتبط بمنظومة الإشـارات وتحليل العوامل المؤثرة فيها.

هـ- هذا، ولايسـتقيم معنى الإتصـال إلاّ من خلال العلاقة الإجرائية بين اللغة وعلم اللسانيات. كيف ذلك ؟ قبل الدخول في تحليل هذه العلاقة لابد أولا من تعريف اللغة إذن كيف تعرف اللغة ؟

-**تعريف لغوي:** " مصـطلح اللغة بالفرنسـية Le langage مشـتق من اللاتينية lingua ومعناها اللسـان وهو عضـو الكَلام، هذا المعنى اللغوي الأوّل، أما المعنى الثاني فيشير إلى اللغة أو الكلام المنطوق "[3].

-**تعريف إصطلاحي:** " اللغة هي نظام تعبيري، وتواصلي، شفهي أو مكتوب خاص بالإنسـان، يتعلمه الأفراد ويسـتعملونه باعتبارهم متكلمين، لكن رغم ذلك تبقى اللغة ظاهرة إنسانية تحكمها مجموعة من الرموز والإشارات المنطوقة والمكتوبة "[4].

-**تعريف لسـاني:** " اللغة هي شـفرة أو نظام من الإشـارات متفق عليه يتركب من إتحاد الدال (صورة صوتية أو سمعية) والمدلول (صورة ذهنية أو مفهوم) "[5].

---

[1] EDGAR MORIN, la méthode 1 – la nature de la nature, le seuil, Paris, 1989, P : 301.
[2]Ibid, P : 304.
[3] FERDINOND DE SAUSSURE, Cours de linguistique Générale, Payot, Paris, 1969, P : 23.
[4] Ibid, P : 35.
[5]ANDRE MARTINET, éléments de linguistique générale, Colin، Paris 1973 P : 25.

- **اللغة الطبيعية واللغة المصطنعة:** يميّز المختصين في علوم اللغة بين نوعين أو شكلين هما:

- **أولا: اللغة الطبيعية:** " هي اللغة التي تتكلم بها مجموعة بشرية أو إنسانية ما "[1].
- **ثانيا: اللغة المصطنعة:** " وهي اللغة المنتجة من قبل مجموعة بشرية أو إنسانية ما ومن خصائصها أنها لغة شارحة لها أصول وقواعد، وفي نفس الوقت هي لغة تأملية (أي لغة عميقة تتميز بها النخبة) "[2].

من هنا نستنتج أن اللغة في طبيعتها ووظيفتها إتصالية بما تحمله من رموز وإشارات وشفرات، وهذا ما يجعل من عملية الإتصال أكثر سهولة ومرونة ووضوحا، وبتعبير آخر إن اللغة بنسقها المنطقي والنحوي والدلالي هي جوهر وروح الإتصال لاسيما في عالم الإتصال المعاصر.

و- وتعتبر اللسانيات من المفاهيم والنشاطات الفكرية والمعرفية الهامة في عالم الإتصال وبدونها لا يمكن لهذا الأخير أن يؤدي وظيفته وأن يحقق غايته كما ينبغي وقبل توضيح هذا الدور أو هذه الوظيفة وجب أن نعرف اللسانيات. إذن ما اللسانيات ؟

-**تعريف لغوي:** "إن مصطلح لسانيات مشتق من اللغة الألمانية (linguistik) هذه الأخيرة مشتقة بدورها من الأصل اللاتيني (lingua) ومعناها اللسان كعضو للكلام، ومن كلمة (langue) التي تعني اللغة "[3].

-**التعريف الشائع أو المشترك:** " اللسانيات هي الدراسة الوصفية للغة الطبيعية بدون أبعاد معيارية، ومن هذا المنظور الوصفي فإن اللسانيات قد تفضل الرؤية التاريخية التي تعتمد وترتكز على البحث الفيلولوجي (فقه اللغة) "[4].

---

(1) René Descarttes, la lettre a merssenne, Gallimard, Paris, 1973, P : 915.
(2) LEIBNIZ, lettre a JEAN FREDERIC, œuvres Choisies, Paris, 1976, P : 61.
(3) Op-cit, André martinet, éléments de linguistique générale, P : 9.
(4) Op-cit, F.DESAUSSURE, Cours de linguistique générale, P : 22.

"وقد تفضل اللسانيات كذلك الرؤية المقارنة أي المقارنة بين مختلف اللغات"[1].

-**التعريف الإصطلاحي:** " اللسانيات هي علم وضعي موضوعه الأساسي والمحوري هو اللغة، إذ يعتبر دي سوسير هو المؤسس لهذا العلم الذي إعتبره جزءا من السيميولوجيا أي علم الإشارات العام "[2].

المنعرج اللساني:

ويسمى باللغة الفرنسية (le tournant linguistique) هذه العبارة من إبداع الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، ويدور موضوعه حول تأثير الفلسفة التحليلية لحلقة فينا تحت تأثير لدفيك فيتغنشتاين (1889-1951) وكارناب Carnap (1891-1970) فمن خلال هاتين المدرستين، ثم إعادة تشكيل اللغة وإعادة بناءها بإدراج ما يسمى بالمعايير الأخلاقية ومن هنا إستطعنا أن نحدد من خلال هذا المنعرج العناصر الفلسفية، النحوية، المنطقية والميتافيزيقية التي تربط بين اللغة العادية واللغة الأكاديمية، فعندما نقول ما الوجود ؟ هنا تتداخل مجموعة من المعارف أهمها العنصر المنطقي. وعندما نقول كيف نقول ذلك ؟ هنا يدخل العنصر الأخلاقي.

كيف تصور هبرماس المنعرج اللساني أو اللغوي ؟

يتفق هبرماس مع كل من HUNBOLT هوبولت. وFREGE فريجه. وPIERCE بيرس وWITTGENSTEIN فيتغنشتاين. وAUSTIN وأوستين وSAUSSURE سوسير:"على أن اللغة في شكلها التقليدي تحمل الكلمات والأسماء على الأشياء. من هنا ترسخ في تصورهم أنها وسيلة للتواصل، فهي تنفتح وتتواصل مع العالم الخارجي، وفي نفس الوقت تتصل بالوعي الداخلي، لكن بالرغم من ذلك وحسب مجموعة العلماء اللذين سبق ذكرهم، فاللغة هي تواصل في معناها العملي

(1) Ibid, P : 32.
(2) EMILE Benvéniste, Problèmes de linguistique générale, Gallimorad, P : 17.

والفعلي، وهذا هو المنعرج اللســـاني واللغوي الحقيقي الذي حدث في الفلســفة الغربية المعاصرة "[1].

وبعد هذا الجهاز المفاهيمي لمصــطلح الإتصــال في علاقته النظرية والإجرائية بمجموع المفـاهيم التي تم تعريفهـا وجـب أن نحـدد الآن العلاقـة بين الإتصــــــال والأنثروبولوجيا لكن قبل ذلك يجب أن نعرف الأنثروبولوجيا.

7-تعريف الأنثروبولوجيا:

أ- **تعريف لغوي وإشتقاقي:**"مصطلح أنثروبولوجيا بالفرنسية Anthropologie مشتق من الإغريقية Anthropos ومعناه الإنســـان ولوغوس ومعناها علم أو خطاب "[2].

ب- **تعريف إصـــطلاحي:** " الأنثروولوجيـا هي علم الإنســـان أو مجموعـة العلوم الوضعية التي تهتم بالإنسان "[3].

وتتفرع الأنثروبولوجيا إلى عدة فروع نذكر منها البعض على سبيل الذكر لا الحصر:

أولا: الأنثروبولوجيا الفلسفية

إشـتهر الفيلســوف الألماني إيمانويل كانط باعتباره المؤســس الحقيقي لهذا النوع من الأنثروبولوجيا، فما هي الدلالات التي أعطاها إيّاها ؟ فالبنسبة له: " إن الأنثروبولوجيا الفلسفية تجعل من معرفة الإنسان جوهرا لها، لكن من زاوية أو رؤية براغماتية، ومعنى ذلك أن كانط حاول أن يفهم الإنســـان باعتباره كائنا طبيعيا وحرا في نفس الوقت، ومحاولة ترقية وتحسين ظروف وجوده الذاتية والبحث عن إمكانية تحسين وجوده في العالم "[4].

---

(1) Barbara Cassin, Vocabulaire, européen des philosophies, le seuil, Paris, 2014, P : 17.
(2)Op-cit, Noella Baraquin et autres, Dictionnaire de philosophie, P : 22.
(3) Ibid, P : 22
(4)EMMANUEL KANT, Anthropologie du point de vue pragmatique, Vrin, paris, 1986, P.11.

ثانيا: الأنثروبولوجيا الأساسية ذات بعد فلسفي

ويتزعمها كل من شيلر وجان بول سارتر وروني جيرارد (وهو أنثروبولوجي الأديان وفيلسوف فرنسي معاصر) ويؤكد هؤلاء: " على أن مكتسبات العلم يجب أن توجّه لخدمة الإنسان، ويؤكدون كذلك على ضرورة المعارف الوضعية ودورها في خدمة واقع الإنسان "[1].

ثالثا: الأنثروبولوجيا الفيزيائية:

" وهي مجموعة العلوم الطبيعية التي تدرس الإنسان ككائن حي في علاقته بالكائنات الأخرى أو هي الدراسة المورفولوجية أو الشكلية لمختلف الأعراق البشرية "[2].

رابعا: الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية:

" وهي مرادف للإثنولوجيا في التصور الأنقلوساكسوني تهتم بدراسة الخصائص المختلفة الثقافة الإثنيات وتصنفهم حسب ثقافاتهم دون الرجوع إلى الكتابة "[3].

من خلال هذه التعريفات نتساءل عن إمكانية تحديد العلاقة بين الأنثروبولوجيا والإتصال لنؤسس لأنثروبولوجيا تحمل معاني راقية وحضارية تنسجم مع البعد الإنساني المعاصر ومن ثمة نتساءل كذلك: أين تكمن هذه العلاقة وما هي أهم تجلياتها ؟

تزامنا من القرن العشرين ظهرت ثورة إعلامية وإتصالية غيرت مجرى التاريخ الإنساني وأحدثت قفزة نوعية في مجال الإعلام والإتصال. وكانت إنعكاساتها شاملة وجذرية على القيم، المفاهيم والحقائق فبعدما كانت هذه الأخيرة تتراوح بين ما هو أفقي (أي الحقائق كانت تأتي من فوق) وعمودي (أي أن الحقائق كانت تأتي من الأسفل إلى الأعلى)، هذا ومع الثورة المعلوماتية والعلمية، ومع نهاية الإيديولوجيات أصبحت الحقائق تركيبية معقدة، ومن هنا يبدأ الدور الحقيقي والفعلي لأنثروبولوجيا الإتصال

---

(1) Ernest Cassirer, essaie sur L'homme, Minuit, Paris, 1976, P : 22.
(2) Claude Levy Strauss, Anthropologie structurale, Plan, Paris 1973, P : 384.
(3) Ibid, P : 388.

التي ظهرت متكيفة أو نتاج لهذا اللحظة الراهنة من التطور العلمي والتكنولوجي الهائل. فالسيبرنطيقا على سبيل المثال جعلت من رسالة أنثروبولوجيا الإتصال أكثر فاعلية من حيث الدور التقني الذي إستلهمته من التكنولوجيات الإتصالية، فاستطاع الإنسان أن يتحكم في المعلومة بشكل علمي، عقلاني ودقيق وأصبح رجل الإعلام بمثابة الناقد لما يحدث في العالم بشكل بناء، وهذا لا ينفي وجود إعلام سلبي هدام.

إن أنثروبولوجيا الإتصال بالرغم من دورها التفسيري، الشارح والتحليلي لما يحدث في العالم إلا أن غاياتها وأبعادها تبقى بالدرجة الأولى معيارية، أي البحث فيما ينبغي أن يكون، وهي بهذا تنطلق من جوهر الأنثروبولوجيا التي جعلت من الإنسان جوهرا أو مركزا لها.

فإذا كان العلم يتجلى في شكله الإجرائي والغائي لخدمة الإنسان، فالدور نفسه تؤكده وتؤسس له أنثروبولوجيا الإتصال ومن جملة المعايير التي تصبو وتسعى إليها نذكر ما يلي:

1. **البحث والتأكيد على التنوع والإختلاف بين الثقافات:** " إن الرسالة الحقيقية لأنثروبولوجيا الإتصال هي القضاء على الثقافات المهيمنة، ومن ثمة الأجناس والأعراف التي تنتج ضده الثقافات، لتؤكد على أن الثقافات مهما إختلفت ومهما تنوعت فهدفها تحرير الإنسان من أحادية المرجعية الثقافية والإنغلاق على الذات، بصيغة أخرى إن دور أنثروبولوجيا الإتصال هو محاربة المركزيات الإثنية التي شكلت عائقا أمام الإتصال والحوار: " إن علم الإتصال الحقيقي هو مزيج بناء بين مختلف الثقافات "[1].

2. **التجديد في لغة الإتصال:** " إن الدور الحقيقي والجوهري لأنثروبولوجيا الإتصال هو التأكيد على حوار لساني منسجم ومعاصر مع القيم الإجتماعية والثقافية السائدة أو الكونية دون إقصاء لغة على حساب أخرى، شريطة أن لا نتعدى على هوية الآخر، ولقد تجدد الخطاب اللغوي ليساير متغيرات الوجود الإنساني، فعلى

[1] PIERRE BOURDIEU, la distinction, Gallimard, Paris, 2000, P : 29

سبيل المثال: منذ حوادث 11 سبتمبر 2001، تغير الخطاب اللغوي في أمريكا من إعتبار الآخر إرهابي إلى خطاب يتأســـس على الفهم والإحترام، فتقلصـــت مساحة لغة الخشب إلى لغة التحاور، التفاهم والتواصل "[1].

3. **البحث عن جودة الحياة:** " منذ الفلســـفة الكانطية التي حاولت أن تجعل من الإتصـــال براغماتيا أي البحث عن حرية الإنســـان وتحســـين جودة حياته ونمط وجوده محليا وكونيا، إستمرت هذه الفلسفة ضمن وسائل الإتصال الجديدة التي ما زالت تدافع عنا هذه القيم في عالمنا المعاصر "[2].

4. **إيتيقا وأخلاقيات أنثروبولوجيا الإتصال:** " تهدف أنثروبولوجيا الإتصال إلى نشر القيم الأخلاقية والإنسانية البناءة، وأهمها: الحرية، نبذ العنف، تحقيق السلام، نبذ الكراهية، تحقيق العدالة الإنسـانية والإجتماعية وتحقيق التنمية المسـتدامة القائمة على مبـدأ التكـافؤ والمســـــاواة في الفرص. أمـا من النـاحيـة الإيثيقيـة، فـإن أنثروبولوجيا الإتصال منذ نشأتها فهي تدافع على مبدأ المطابقة بين القول والفعل أو الكلام والإنجـاز، أو الفكرة والتطبيق، دون أن ننســـى أن الإيتيقـا الحقيقيـة لأنثروبولوجيا الإتصـــــال تتجلى من خلال مفـاهيم النقـاش والحوار التي تعتبر المحرك الحقيقي والإجرائي لمعاني الإتصال الإنسانية والحضارية "[3].

---

(1) Op-cit, HABERMAS, morale et communication, P : 204.
(2) Edgar Morin, La vie de la vie, Vrin, Paris, 1982.
(3) Op-cit, Apel, Ethique de Discussion, P : 92.

المحور الثاني

النظريات الكبرى في أنثروبولوجيا الاتصال

المحور الثاني : النظريات الكبرى في أنثروبولوجيا الاتصال

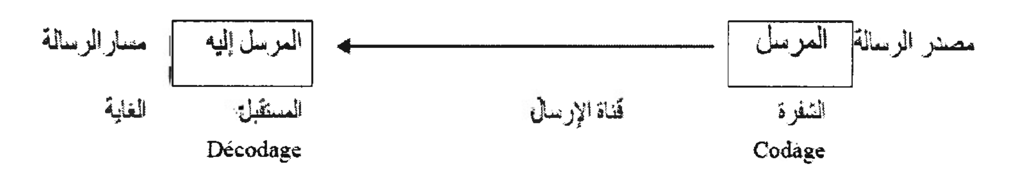
تمهيد

بالرغم من قدم فعل التواصل وأدواته وتقنياته بين البشر، إلا أن القرن العشرين يعتبر أيقونة مميزة أسست لأنطولوجيا جديدة في الإتصال تركت ورائها جملة من النظريات الواصفة، الشارحة والمفسرة لفعل التواصل. ولقد أخذت العلوم الإنسانية بشكل عام والأنثروبولوجيا بشكل خاص نصيبا وافرا في تشكيل وبناء النظريات الكبرى للتواصل من هنا ولضرورة معرفية و منهجية وجب أن نتساءل : ما هو مضمون وجوهر هذه النظريات ؟ وكيف شرحت، فسرت وأسست فعل التواصل؟ وما هي الآثار والإنعكاسات التي أفرزتها في أدبيات وأخلاقيات العلاقة بين المرسل و المرسل إليه ؟ وما هي القيم الكبرى الناتجة عن ذلك؟

من هذا المنطلق يمكن أن نتطرق إلى مجموعة من النظريات البارزة التي أسست للأنثروبولوجيا في علاقتها بالإتصال.

1 . نظرية Shannon شانون:

من خلال هذه النظرية أكد هذا الأخير على أن:" فعل التواصل عبارة عن صيرورة من خلالها تتم عملية الإتصال بين مرسل ومرسل إليه"[1]، و لقد سميت هذه النظرية بنظرية الفعل السيبرنيطيقي للتواصل، ويمكن تحديد وضبط هذه النظرية ضمن الخطاطة التالية :



(1)L-M .MORFAIX ,VOCABULAIRE DE LA PHILOSOPHIE des sciences humaines, Armand –colin,paris,1981,p :52.

في هذه الخطاطة يرى شانون أن نظام الشفرة (عملية التشفير) بالفرنسية: lecodage يتصف بمجموعة من الألغاز بين المرسل والمرسل إليه ومرجع ذلك هو الضجيج الذي يشكل فوضى وإنحراف عابر يتدخل في عملية نقل الرسالة من الأنا إلى الآخر، وأن قناة الإرسال هي بمثابة البرهان لاخلف أو بالتراجع الذي يقوم به المرسل إليه على المرسل من خلال عملية بعث الرسالة وهذه العملية هي التي تنظم الإتصال وتجعل منه ذا نوعية عالية ويتم إستقبال الرسائل على أحسن درجة وأرقاها، مثلا لنفترض أن الأستاذ هو المرسل من خلال تلقينه لمعلومات هامة في مادته وأن المرسل إليه هم الطلبة ، سيستعمل الأستاذ الذي هو المرسل في ذلك نظاما مشفرا كقوله:"إن الحرية وهم"، سيحاول الطلبة وهم المرسل إليهم تفكيك هذه الشفرة ووسيلتهم في ذلك هي الضجيج الذي إعتبره شانون عائقا إبستيمولوجيا، انثروبولوجيا، تعليميا ،بيداغوجيا وإتصاليا ولتصفية هذا العائق وإعطاء معنى لفعل التواصل أكد شانون" على عملية إعادة الإرجاع feed–back بحيث يتساوى المرسل والمرسل إليه في عملية الإتصال، وعملية الإرجاع هي المنظمة لفعل التواصل"(1) .

وخلاصة هذه النظرية أن التواصل نوعين:

- التواصل في حالته الطبيعية والعفوية هوعبارة عن أصوات غير منظمة (ضجيج).
- التواصل المنظم أساسه إعادة الإرجاع فمن خلاله يتحدد مسار التواصل بشكل منظم و يتخذ طابعا راقيا ومن هنا يتحدد هدف وغاية الرسالة بين المرسل والمرسل إليه.

البعد الأنثروبولوجي لنظرية شانون :

إن الإتصال يجابه ويواجه أخطارا كثيرة سببها المرجعيات الثقافية المختلفة التي ينتمي إليها المرسل والمرسل إليه، والكلمات الجديدة (polysémie) غير المتداولة مثلا: قد تكون كلمات جديدة جاءت في سياق الإتصال وتخلق نوع من الضجيج

(1)Ibid ,p :52.

والفوضى واللاتجانس بين فضاء المرسل والمرسل إليه الذي يتحدد من خلال ذاتية كل منهما، أو من خلال الطبع والحالة الإنفعالية والتركيبة النفسـية، الثقافية، الإجتماعية والمرجعية الطبقية لكل منهما إلا أن فعل الإرجاع حسب شانون الذي يقوم بمواجهة هذه الصعوبات و العوائق من خلال الحوار (الأخذ والرد) "هو الذي يخلق حالة من حالات الإطمئنان والإنسجام و التوافق لكي تفهم الرسالة "[1].

2- نظرية الإتصال الجماهيري و تنمية الوعي الإجتماعي:

إكتسبت هذه النظرية أهمية بارزة من خلال مجموعة من التقنيات المعاصرة التي إخترعها الإنسان وتتجلى في مجموعة من المعارف، المعطيات والمبادئ القيمية، ثقافية والعلمية التي تتمظهر من خلال الصحافة، الإذاعة، التلفزيون، السينما، النشريات و الدوريات والتي بموجبها يتم نشر المعلومة التي تؤثر على الرأي العام مثل: مرض الكوليرا في الجزائر الذي تناولته أجهزة و وسائل الإعلام والإتصال بشكل علمي، ثقافي، تاريخي و طبي .

ومن بين الأسماء التي نظرت لهذا المجال نجد كيتلر (kittler) الذي أكد في كتابه (أنساق التسجيل) على نهاية عصر إحتكار الكتابة ليترك المجال لتقنيات التسجيل الرقمي و الجبري مثل أحهزة الحاسوب، وفي هذا المجال أكد كيتلر على:"أن مهندسي الحاسوب منذ 1971 وعلى رأسهم غوردن مور GORDON MOORE الذي من خلال إختراعه للحاسوب ضمن شركة intel قد وضع نهاية للكتابة فأصبح الحاسوب وسط بين الصور، النصوص والأصوات وبين المرسل إليه"[2]

نستخلص من ذلك أن كيتلر وهو انثروبولوجي ألماني قد أكد على نهاية إحتكار الكتابة التي كانت سابقا هي الأداة المثلى للتواصل، ليترك المجال للتقنيات الجديدة وعلى رأسها الحاسوب، بمعنى أن الإتصال المثالي والفعال بالنسبة لهذه النظرية لا يتم إلا

---

[1]ibid,p :52

[2]FRIEDRICH.KITTLER les systèmes de l'enregistrement, leipzig, 1988, p : 17.

من خلال الوسائل التقنية التي سميت في لغتنا المعاصرة بـــــــ : les masse – medias .

وتوالت نظريات أخرى شـــارحة ومفســرة لفعل الإتصـــال ومن أبرزها نظرية الأنثروبولوجيا الفلســفية لمارلوبانتييه maurice merleau ponty، وســميت هذه النظرية بنظرية الإتصـــال بين الوعيين و معنى ذلك أن فعل الإتصـــال هو فعل فردي واعي يخرج من ذاته ليتصـــل أو يتعاطف مع الآخر، هذا ما يســـمى كذلك في علم النفس الكلاسـيكي أو الفلسـفة الكلاسـيكية بالإسـتدلال التمثيلي ، بمعنى الحكم على شيء أو تأويله لوجود ذلك الحكم في شيء سابق على أساس علة مشتركة بينهما أو من خلال تجارب سابقة مماثلة موجودة في حياة الآخرين تتشابه مع حياة الذات، ومن أبرز ممثلي هذا النوع من الإتصـال الفلسـفة الظواهرية مع مارلوبونتييه الذي يرى أن:" فهم الآخر يتم بطريقة حدســية مباشــرة".[1] ويمكن إدراج الوجودية كذلك ضــمن هذا النوع من الإتصال ففي تصورها أن:" الآخر هو الذي يراني وأراه"[2].

3- النظرية النقدية والإتصال الجماهري:

تعتبر النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من أهم النظريات التي نظرت للإتصال الجماهيري في علاقته بتنمية الوعي الإجتماعي وهذا عكس إيمانويل كانط الذي يعتبر من الأوائل الذين قاموا بنقد ملكات العقل ولهذا سـميت فلسـفته بالفلسـفة النقدية، ومن بين المرجعيات التي إعتمدتها المدرسـة النقدية نجد كل من الفلسـفة الهيغيلية والفلسـفة الماركسـية وتعمق النقد أكثر فأكثر عندما إسـتعانت بنتائج العلوم الإجتماعية وأبرزها علم الإجتماع، الفلســـفة، علم النفس، التاريخ، الإقتصـــاد، الأنثروبولوجيا، اللغة، واللسانيات، ومن أبرز ممثليها "ماكس هوركايمر"،"أدورنو"، و"هبرماس"...إلخ.

ومن هنا نتساءل: ماموقف هذه النظرية من الإتصال الجماهيري؟

---

[1]opp-cit L-M , MORFAIX ,vocabulaire de la philosophie des sciences humaines, p :52

[2]ibid,p :52.

لقد تراوح موقف هذه المدرسة من الإتصال الجماهيري، بين نقد إيجابي، ونقد سلبي، إذ نجد آباء ومؤسسي هذه المدرسة قد إتخذوا موقفا سلبيا من وسائل الإتصال فنجد هوركايمر بإعتباره الأب الروحي لهذه المدرسة قد إتخذ موقفا سلبيا من الإتصال الجماهيري ففي تصوره أن وسائل الإعلام تحطم أسس الإتصال، وفي هذا المجال يقول هوركايمر:"إن وسائل الإتصال مع مرور الوقت قد حطمت المعنى الذي يعتبر أهم مبدأ في الإتصال"[1]،وفي نفس الإتجاه نجد "والتر بن يامين Walter benjamin" يرى:" أن فلسفة الإتصال الجماهيري منذ ظهورها أسست لثقافة بربرية"[2]، ومعنى ذلك أن وسائل الإتصال الجماهيري جعلت من الإنسان مجرد آلة نحركها ونضبطها كما نريد حسب إيديولوجية هذه الوسائل التي هي في الأصل تعبير عن إيديولوجية الدولة فمثلا السينما الجزائرية كانت تعبير عن إيديولوجيا الدولة الجزائرية في مرحلة الستينيات والسبعينيات التي تركز على الشرعية التاريخية.وكذلك الأفلام السينمائية في الإتحاد السوفياتي كانت تعبيرا عن الإيديولوجية الماركسية في مرحلة السبعينيات والثمانينيات.

وفي عام 2002 قدم بولز bolz نقدا إيجابيا لوسائل الإتصال الجماهيري من خلال كتابه "تجلي النزعة الإستهلاكية" بقوله: "إن وسائل الإتصال الجماهيري أعطت مناعة للمجتمع الليبرالي بتشجيعها للإستهلاك ضد تزايد التطرف الديني"[3].

بمعنى أن وسائل الإتصال الجماهيري ركزت وإهتمت بالدعاية والإشهار لغرض الإستهلاك الإقتصادي المادي والسلعي للإقبال أكثر على ماديات الحياة لمجابهة ومواجهة التطرف الديني الذي همش حسب رأي بولز bolz مبدأ الحياة المادية، ويعتبر بولز bolz أهم قطب في أنثروبولوجيا الإتصال بجامعة برلين، وكل أعماله البحثية كانت موجهة لمجابهة التطرف الديني والنزعات التي تنادي بالآخرة

[1]HORKHEIMER- ADORNO, la dialectique des lumières, Frankfurt, 1988, p : 129.
[2]GERARD RAULET, la philosophie allemande depuis 1945, Armamed colin, paris, 2006, p : 344.
[3]Ibid, p : 345.

(l'apocalyptisme) وحسب رأيه:"إن الإتصال الجماهيري هو الدين الجديد، إذ تحول ماكان مقدسا إلى ماهو مقدس أكثر وهو الدفاع عن الحياة ويواصل بولز bolz قائلا :"إن النزعة الإستهلاكية التي أصبحت العملة الصعبة للإتصال الجماهيري لا تَعِدُ بهدف أو نهاية للتاريخ، وإنما تجعل من هذا الأخير أبديا"[1] بمعنى أن النزعة الإستهلاكية لا نهائية وأبدية، أما التطرف الديني في تصوره نهائي وغير أبدي لأنه يقصي مبدأ الرغبة في الحياة ومباهجها.

4- يورغن هبرماس ونظرية الإتصال الجماهيري:

لقد جعل هبرماس من وسائل الإتصال الجماهيري فضاءا جديدا للنقد يلعب فيها الصحفي والإعلامي دورا بارزا يشبه دور الفيلسوف أو المفكر في السابق مؤكدا على نهاية الفلسفة في شكلها الكلاسيكي أي في شكلها النسقي المذهبي ومابقي منها أي الفلسفة هو النقد وهذه هي الأداة الحقيقية التي إستثمرتها وسائل الإتصال الجماهيري، ويتجلى هذا من خلال مؤلفه الشهير الفعل التواصل l'agir communicationnel حيث قسم في هذا العمل الذي إشتهر به الإتصال إلى قسمين:"إتصال إستراتيجي وهو إتصال براغماتي نفعي أساسه المصلحة المشتركة بين مجموعة من الأفراد أو المجتمعات والدول، والنوع الثاني سماه بالفعل التواصلي هدفه إنساني تعارفي أي تفاعل قيمي أو ثقافي بين مجموعة من الأفراد أو المجتمعات الغاية القصوى منه التعايش معا، ومن أدواته الأساسية هي اللغة"[2].

وواصلت المدرسة النقدية مشروعها التنظيري حول وسائل الإتصال الجماهيري من خلال الجيل الثالث الذي يمثله أكسيل هونت ذAxele honneth من خلال مبدأ الإعتراف le Principe de reconnaissance ففي تصوره : "أن وسائل الإتصال الجماهيري حققت أهم هدف في حياة الإنسان الغربي وهومبدأ الإعتراف، و يتجلى هذا

(1)ibid,p :346.

(2)HABERMAS , la théorie de l'agir communicationnel ,ARMAND-COLIN-PARIS ,2008 ,p :138.

الأخير من خلال الإعتراف بجرائم الإنسان الأوروبي في إستغلال الثقافات الأخرى ببربرية وعنف من خلال مجازر هذه الدول سواءا في حرب الفيتنام أو الجزائر عن طريق كشف أفلام سينمائية ووثائقية. وحركات جمعاوية ضد ماهو كولونيالي".[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى أعتبر أكسيل هونت:" أن وسائل الإتصال الجماهيري قد قامت بالتأكيد على مبدأ الإعتراف من خلال التأنيب والمسؤولية الجماعية حول الجرائم ضد الإنسانية أولا و الجرائم ضد البيئة والطبيعة."[2] ففي تصوره:" أن الإعتراف لا يستقيم معناه إلا من خلال مبدأ المسؤولية الجماعية."[3] وهنا يشترك أكسيل هونت مع فيلسوف ألماني آخر هو (هانز-جوناس) الذي أكد على مبدأ المسؤولية الجماعية فمثلا إيطاليا إعترفت منذ 10 سنوات بجرائمها البشعة ضد الشعب الليبي فقدمت الملايير من الدولارات لليبيا كتعويض عن هذه الجرائم مع تقديمها لخطاب تحترم فيه إستقلالية الشعب الليبي، وهذا مالم تستطع فرنسا القيام به مع الجزائر، ومازال الملف قائما.

5- الإتصال الجماهيري و السيبرنيطيقا:

في خضم التطور العلمي والتقني الذي شهدته الحضارة الأوربية ظهرت علوم جديدة وبوتيرة سريعة، وذلك في المنتصف الثاني من القرن العشرين، وبالضبط في فترة الستينيات والسبعينيات، ومن أبرز هذه العلوم و المعارف نجد السيبرنطيقا والبيوتيقا لكن لماذا هذا الظهور في هذه الفترة بالضبط أو ماعلاقة السيبرنطيقا خاصة بأنثروبولوجيا الإتصال؟

إن هذه الفترة شهدت إنجازات علمية كبرى وإختراع لتكنولوجيات وتقنيات فائقة في المهارة والتعقيد أو ما سمي بالذكاء الإصطناعي أو مايعرف باللغة الفرنسية l'inteligence artificiel إذ كاد أن يتفوق ذكاء الآلات عن ذكاء الإنسان، فكان

[1] Axelle honneth, le Principe de reconnaissance, gallimard, paris, 2008, p : 327.
[2] ibid,p : 328.
[3] ibid,p :328.

لابد من إيجاد مخرج علمي وقيمي لهذا التنافس بين ذكاء الإنسان وذكاء الآلة، وهكذا ظهرت السيبرنيطيقا.

قبل الدخول في علاقة السيبرنطيقا بأنثروبولوجيا الإتصال ومن ثمة البحث عن علاقة الإتصال بالجماهير فمنذ هذه الفترة نشأ مايسمى في أوروبا وأمريكا خاصة بمجتمعات المعرفة les Sociétés du savoir من هنا وجب أن نتسائل أولا ماهي السيبرنطيقا؟"

تعريف السيبرنطيقا:

أ-**تعريف لغوي و إشتقاقي:** مصطلح السيبرنطيقا بالفرنسية a Cybernétique: "وهذه الأخيرة مشتقة من الكلمة اليونانية kubernetis ومعناها قائد أو ربان السفينة."[1] معنى ذلك أن السيبرنطيقا جاءت بمثابة القائد لسفينة العلم والتقنية حتى تكون القيادة إستراتيجية ذات بعد، هدف ومعنى وقد إرتبطت السيبرنطيقا عند اليونان بموضوع الإستراتيجية le stratégie أي فن الحرب أو تلك الخرائط التي يضعها القائد العسكري لتحديد أهداف المعركة لغرض الإنتصار، وبلغة أخرى إن الإستراتيجية في بعدها السيبرنطيقي هي تحديد الوسائل والطرق لتحقيق الأهداف والغايات، وكما أكد (ميشال فوكو) إن الإستراتيجية هي مجموعة الوسائل العقلية و الملموسة لتحقيق أهداف جوهرها السيطرة و الهيمنة على الآخر و لقد ربط فوكو الإسترتيجية بمفهوم السلطة فقوة السلطة حسب فوكو تكمن في قوة التحكم المعقلن للوسائل والتقنيات التي تتجلى في السيبرنطيقا."[2] وفي عالمنا المعاصر نجد كلوزوفيتش clauswitge وهو محارب وسياسي ألماني يرى:"

---

[1]opp-cit,L-M , MORFAIX ,vocabulaire de la philosophie des sciences humaines p :71.
[2]ibid ;p :342.

أن الحرب إستراتيجية تحدد وجهها الوسائل المخولة لذلك"[1] وفي قول آخر نجده يعبر قائلا:"إن الحرب هي إمتداد للسياسة"[2].

ب-**التعريف الإصطلاحي**: مما سبق في التعريف الإشتقاقي يمكن أن نستخلص المعنى الإصطلاحي للسيبرنطيقيا فهي تحدد إصطلاحا بأنها:" علاقة الإنسان بالآلة."[3] إذ حاول الإنسان الهيمنة على الطبيعة وتسخيرها لأغراضه النفعية وبإعتبار أن القرن العشرين أصبح يؤمن فقط بالعلم القابل للتطبيق والممارسة فهنا بدأت الأزمة في أوروبا التي تتلخص في السؤال التالي: كيف يمكن إيجاد علاقة متوازنة بين القيم الإنسانية والإنتاج العلمي والتقني الهائل والسريع الذي قد يصعب على الإنسان التحكم فيه ومراقبته؟

إن هذا العلم الجديد الذي ظهر في أمريكا خاصة وفي الدول الأوروبية الأنجلوساكسونية عامة، هو تركيب لمجموعة من المعارف والعلوم تشترك فيها الكثير من التخصصات ، منها فيزياء الذرة (الإلكترونيك)، الرياضيات، الهندسة، علم النفس، علم الإجتماع، الأنثروبولوجيا، الفلسفة، علماء القانون، الإقتصاد، السياسة، الطب، والبيوتيقا بمعنى آخر: إن هذا العلم لايستقيم معناه، ولاتحدد هويته و غاياته إلا ضمن مايسمى في الإبستيمولوجيا بالتداخل المعرفي (l’interdisciplinarité) وهكذا ظهرت نوادي وجمعيات ومخابر بحث ومجلات وبرامج إقتصادية و سياسية يشترك فيها الجميع، لكي تؤدي السيبرنطيقيا مهمتها الحقيقية وهي الإتصال الجماهيري القائم على قواعد إيتيقية و أخلاقية سليمة فظهر جيلين من الإتصاليين يختلفان في الهدف بسبب تطور التكنولوجيا الإلكترونية وهما:

---

(1)ibid,p :142.
(2)Ibid,p :142.
(3)ibid,p :71.

1- الإتصاليون الكلاسكيون بزعامة واينر weiner فالإتصال لديهم:"كان يتحدد من خلال جوهر نظرية المعرفة الكلاسيكية أي علاقة الذات بالموضوع،أو بصيغة أخرى علاقة المرسل بالمستقبل"[1].

2- الإتصاليين الجدد: فنتيجة تطور علم الإلكترونيك بشكل دقيق نتج عنه ظهور علم جديد، هو علم الأوتوماتيك، هنا إختلفت نظرية المعرفة بحيث أصبحت العلاقة ذات موضوع، وموضع ذات ومن أبرز رواد هذا الجيل العالم الكندي (شونال) chounel ، "وقد إستفاد هذا الجيل كذلك من تطور علم الأعصاب على سبيل المثال جهاز الحاسوب يتكون من مجموعة من الألياف التي هي في الأصل تشبه السيالة العصبية ووحدته المركزية تشبه دماغ الإنسان".[2] وهكذا إستفاد الإتصال الجماهيري بنوع جديد من وسائل الإتصال سببه الثورة الإلكترونية التي أحدثها الإنسان في العالم المعاصر وتنوعت طرق الاتصال من:

Facebook،twitter،youtube،whtsup،instagram...إلخ

فظهر إتصال جديد سمي في الإبستيمولوجيا المعاصرة بالإتصال الإفتراضي، هذا النوع من الإتصال يتضمن جملة من العناصر الإيجابية و السلبية فبفضل هذا النوع من الإتصال إستطاع الإنسان أن ينوع من مصادر المعلومة وفي نفس الوقت يتحصل على أجور وأحدث المعلومات، أما الجانب السلبي يتجلى في تكريس قيم الفردانية التي تتنافى مع طبيعة الإنسان الإجتماعية، وفي نفس الوقت أصبحت هذه الوسائل بمثابة أفيون و مخدر جديد يقضي على عنصر الإرادة والإبداع، فظهرت هكذا إتيقا جديدة أساسها الإستمتاع والنشوة واللذة.

---

[1] ARMAND-Colin, le grand Larousse de la philosophie, puf, Paris, 2007, p :320
[2] Ibid, p :321

أخطار الإتصال السيبرنطيقي:

إســـتطاع العالم ان يحقق إنجازات عظيمة وجمة من خلال الأداء أو الفعل السـيبرنطيقي، ففي سـنوات قليلة إسـتطاع الإنسـان أن يحقق سـرعة فائقة في نقل المعلومة والإتصال السريع بأقل تكلفة بإعتبار أن السيبرنطيقا هي آخر ماتوصل إليه الإنسان من مهارات، وقدرات العقل التواصلي ، وهكذا أصبح العالم بالرغم من شساعة مسـاحاته وحدوده قرية صـغيرة مترامية الأبعاد بفضـل التقنيات الجديدة التي أفرزتها السـيبرنطيقا فدخل الإنسـان في دائرة كوجيتوجديد "أنا أتصـل، إذن أنا موجود" فوجود الإنسـان اليوم لايمكن أن يكون فعالا وفاعليا إلا من خلال هذه الوسـائل الإتصـالية الجديدة التي إنتشـرت في جميع الأوسـاط، وبالخصـوص داخل الأوسـاط الجامعية والأكاديمية وساهمت السيبرنطيقا في تنمية قدرات الإنسان، و أكسبته مهارات عملية قلصت من الجهد العضلي وإختزلت الوقت الذي أصبح يسمى بالزمان السيبرنطيقي، ومن خصـــائص هذا الزمن الديمومة والإســتمرار في المعلومة ولا نهاية الإتصـــال والتواصل،هذه جملة من الفوائد على سبيل الذكر لا الحصر ومع هذه الثورة الإتصالية أو السيبرنطيقية لا يمكن أن نتناسى بعض الأخطار التي تواجه الإنسان السيبرنطيقي ومن هذا المنطلق وجب أن نتسائل:أين تكمن أخطار وسلبيات السيبرنطيقا؟

فمنذ ظهور السـيبرنطيقا والمهتمين بها يؤكدون على أخطارها وتزايدت هذه الأخطار مع القرن الواحد والعشرون التي يمكن أن نذكر منها مايلي:

1- نبدأ بالوطن العربي:

لقد شهد العالم العربي فترة عصيبة، ساهم من خلالها الفساد السياسي والمالي في إزدياد بؤرة التوتر بين المواطنين وفقد المواطن العربي الثقة في حكامه، وأقل ما يمكن قوله أنهم رسخوا للديكتاتوريات بحكمهم التعسفي والشمولي واللاأخلاقي، وزادت حدة الصـدام بين السـلطة والشـعب و إتسـعت دائرة الفقر والتجهيل...إلخ فكانت هذه الحالات المرضـية الباثولوجية بمثابة الشعلة الحقيقية التي سـاهمت بشكل مباشر في

- خلق البلبلة والفوضى وميلاد عصر جديد سمي بالربيع العربي من هنا وجب أن نتساءل: من كان وراء هذه الثورات؟

يؤكد المختصين في الإتصال وعالم السياسة أن شبكات التواصل الإجتماعي وعلى رأسها الفيس- بوك هي المحرك والمثير الأساسي لهذا الحراك الإجتماعي. لكن للأسف هذا الربيع العربي كان مجرد حلم لم يتحقق ومرجع ذلك أن الناشطين الفيسبوكيين هم الذين حاولوا إثارة غضب شعوب هذه المجتمعات.وليس المثقفين،فتحول هذا الحراك إلى ثورة مضادة وهذا ما خلق عنفا مضادا ومزدوجا، وخصوصا في مصر، تونس، ليبيا، سوريا، واليمن لكن بالرغم من ذلك إستطاعت هذه الوسائل السيبرنطقية أن تحرر الشباب العربي من الخوف ومن عقدة عدم التغيير وفضحت الفساد السياسي والمالي والمتسببين فيه.

-2- ثانيا في العالم الغربي:

إن الوسائل السيبرنطيقية ساهمت بشكل كبير في تقدم وحداثة العالم الغربي في عدة مجالات أهمها المجال العلمي، التقني و الإقتصادي، إلا أن العالم الغربي يعاني بسبب هذه الوسائل التي أبدعها من مشكلات الإيتيقا والأخلاق التي تتمظهر من خلال فيديوهات وأفلام إباحية ضف إلى ذلك مواقع تدعو إلى العنف وتقنينه والكثير من هذه المواقع،والكثير من الشباب الأوروبي المسلم إنضم إلى الخلايا الإرهابية التي تحارب في سوريا تحت شعار وغطاء الإسلام ورغم محاولات الدول الأوروبية في وضع قوانين بغية مراقبة هذه المواقع و أبرز مثال على ذلك خلق شرطة سيبرنطيقية إلا أن العمل مازال غير فعال للحد من هذه الخروقات السيبرنطيقية، وتزايدت درجات التمييز العنصري بين الثقافات الأوروبية وأبرزها ثقافة الجالية الإسلامية التي تعيش في أوروبا. دون أن نهمل الأقليات الأخرى. وأخيرا أقل ما يمكن قوله هو أن التقنية أو العلم بدون إيتيقا او أخلاق لا يمكن أن يخدم الإنسان وبالتالي فإن مصيرها مهدد بفعل العولمة التي جعلت من السيبرنطيقيا وسيلة وغاية في نفس الوقت تدعو إلى مجموعة من القيم الهدامة التي لا تعترف بهوية وثقافة الآخر وتميزه، فالعولمة في نهاية

المطاف تدعوا إلى الإختلاف في شكلها، لكن في مضمونها فهي تكرس لقيم المماثلة والتشـــابه والذوبان في نموذج واحد، هو النموذج الغربي الليبيرالي المبني على الحرية الفردية بدون قيم ولا أخلاق وأهم قيم العولمة كما سطرها أدم سميث:"دعه يعمل، دعه يمر" فغايتها القصـوى براغماتية ونفعية، فالإنسـان العولمي هو إنسـان تجاري محض في عواطفه وعلاقاته وأهدافه مع الآخرين.

الإتصال الحضاري والتحاضر وعلاقته بالأنثروبولوجيا:

قبل الدخول في الموضـوع لتحديد العلاقة بين الإتصـال والتحاضـر يجب أولا تحديد مفاهيم ومصطلحات هذا المحور، وأبرزها الحضارة وفعل التحاضر.

1-تعريف الحضارة بالفرنسية:la Civilisation

أ-تعريف لغوي وإشـــتقاقي: مصـــطلح"Civilisation" مشـــتق من اللاتينية civis ومعناه مواطن المدنية،أما الإشتقاق الثاني من الكلمة الفرنسية هو civitas ومعناه المدينة، وفي نفس الوقت معناه التحاضـــر أو التحضـــر وضـــد مفهوم civtas هوsylvaticus ومعنـاه المتوحش أي الإنســـان الذي يعيش في الغابـة sylva معناها الغابة باللغة اللاتينية[1].

ب-تعريف أخلاقي: "مصـــطلح حضـــارة في مقابل البربرية من الناحية الأخلاقية، ويعرف الأخلاقيون الحضـارة على أنها ذلك النظام الذي يتبعه مجتمع ما. محكوم عليه بأنه عالي المســـتوى، ومثالي من الناحية الأخلاقية و الإجتماعية"[2]، وفي هذا المضـمون عرف (ليون بلوم)leon=blum قائلا:"إن مشكلة الحضـاري تكمن في تحويل الطاقات الحيوانية للإنســـان إلى طاقات إنســـانية روحية، وتحويل التطرف والصنمية إلى يقينيات مبنية على العقل، ومؤسسة حول قناعات يتطلبها الوعي الشخصـي"[3].إن هذا القول يعبر عن ماسمي في الأنثروبولوجيا بالمركزية

---

[1]op-cit,,L-M , MORFAIX ,vocapulaire de la philosophie des sciences humaines, p :48.
[2]Ibid,p :48.
[3]Ibid,p :48.

الإثنية أو مايسمى بالفرنسية ethnocentrisme وهي موقف عام قد يكون لاشعوريا لمجموعة من أعضاء مجتمع ما يعتبر أن نموذج المجتمع الذي ننتمي إليه هو الأفضل والأحسن، ويجب أن يؤخذ كمرجعية للحكم على المجتمعات والشعوب الأخرى إذ يعتبر أعضاء هذا المجتمع أن المجتمعات التي لا تقتدي بنموذجها الأفضل والأحسن هي مجتمعات متخلفة، هذه النزعة الإثنية خلقت التمييز العنصري وكره الأجانب في هذه المجتمعات.

نستنتج من خلال ماسبق أن التحاضر حسب هذه النزعة يقتصر على مجموعة عرقية دون الأخرى لكن التحاضر الحقيقي هو أخلاقي بالدرجة الأولى: أي تحويل صفات الطبيعة الحيوانية لدى الإنسان إلى صفات إنسانية أساسها العقل والإنفتاح على الثقافات الأخرى.

ج- **المعنى الإجتماعي والإثنولوجي للحضارة**: "إن الحضارة في معناها الإجتماعي و الإثنولوجي هي ذلك الكل المركب والدائم لمجموعة من الخصائص السياسية، الإجتماعية، الإقتصادية، الدينية، الأخلاقية، الجمالية، التقنيات والعلوم الخاصة بمجتمع ما".[1]

أما في التصور الأوربي:" هناك تمييز بين الحضارة والثقافة فالحضارة هي الجانب المادي للثقافة، لكن في تصور الأنثروبولوجيا الأنقلوساكسونية، فإن مصطلح الحضارة يعني الثقافة"[2].

د- **معنى التحاضر أو التحضر**:"إن الحضارة مشتقة في المعجم العربي من الفعل تحضر. يتحضر تحضرا وهي مجموعة الأفعال أو السلوكات العملية التي يسلكها المواطنين في مجتمع ما"[3].

---

[1]Ibid,p :48.
[2]Ibid,p :48.
[3]Ibid,p :48.

ويمكن تحديد جوهر هذه السلوكات الحضارية فيما يلي:

1- الإمتثال للقانون المسير للمجتمع

2- الإحترام المتبادل بين المواطنين

3- التعايش الثقافي بالرغم من وجود الإختلافات الإثنية والثقافية.

4- جعل المواطن يعي حقوقه وواجباته وهذا مايحدد مفهوم المواطنة

بعد هذه التعريفات يجب أن نطرح السؤال التالي، كيف يمكن لأنثروبولوجيا الإتصال أن تساهم في بعث وإحياء التحضر في المجتمع؟

إن وسائل الإتصال الجماهيري تلعب دورا أساسيا في التحضر.لأن رسالتها الأولى هي بعث الحس المدني الذي يعتبر شرط أساسي لإستمرار مجتمع متحضر قائم على قواعد وقوانين تحميه من قوانين الغاب القائمة على الفوضى، العنف والتوحش ويعتبر هذا القانون هو السائد والقائم على الغريزة الحيوانية للمحافظة على البقاء، ففي هذه المجتمعات أي مجتمعات الطبيعة البقاء للأصلح والأفضل ولقد أثار توماس هوبز لخصائص مجتمع الطبيعة أو الغاب في كتابه الشهير "التنين"وهو حيوان بحري أسطوري ذكر في الكتاب المقدس. وهو حيوان يلتهم كل ماهو موجود أمامه بدون رحمة ولا شفقة، ولهذا فإن هدف وسائل الإتصال الجماهيري هو التخلص من رمزية هذه الحيوانية التي قد تسيطر على الإنسان في المجتمع، وبالتالي تحطم قيمه الروحية والإنسانية، ولقد لعبت وسائل الإتصال الجماهيري منذ ظهورها في العالم دورا بارزا في فعل التحضر وذلك من خلال البرامج الثقافية والندوات المتلفزة والرموز الإشهارية والنقاشات بين مختلف أطياف المجتمع، وبتعبير آخر إن وسائل الإتصال الجماهيري تصارع وتناضل من أجل تحقيق الحس المدني le civisme:" الذي يعتبر الهدف الأسمى لكل المجتمعات ومعناه وعي المواطن بحقوقه وواجباته السياسية تجاه الدولة وأفراد المجتمع."[1] فظهر في المجتمعات الغربية ما يسمى ببرامج الحياة اليومية التي تهدف إلى ما يلي:

---

[1]Ibid,p :49.

1- المحافظة على الحس المدني باعتباره عصب وروح الحضارة

2- قدمت هذه البرامج دورات تدريبية لجمعيات ناشـــطة في المجتمع الهدف منها تجديد روح الوعي الحضـاري المبني على قيم الإيثار والغيرية ونبذ الأنانية وحب الذات والفردانية. فالمجتمع هو الكل لا الجزء، و إزداد عدد هذه البرامج بإزدياد مستويات نشاطها النضالي اليومي، وبالخصوص في الدول الأنقلوساكسونية ومن أشـــهر البرامج التي تلقى رواجا اليوم البرامج الإيكولوجية، فوســـائل الإتصـــال الجماهيري اليوم في صـراع مع إشكالية البيئة و المشـاريع التي تقدمها في إطار إحترام البيئة، فالدولة وحدها لا تستطيع القيام بهذه المهمة، والدور الأساسـي هو على عاتق المواطن الواعي والمتحضـــر، هذا وما زالت وســـائل الإتصـــال الجماهيري تواصـــل مسـيرة نضـــالها للحد من الصـــراع الديني والاثني والتطرف بمختلف أشكاله وممارسات العنف والإغتصاب والجريمة في كل مؤسسات الدولة لاسيما المؤسسات التربوية. كما ساهمت وسائل الإتصـال الجماهيري في تنمية الوعي والـذوق الفني والإرتقـاء بـالمجتمعـات من خلال إعداد برامج أدبيـة،فنيـة بمختلف أنواعها.

المحور الثالث

علاقة الأنثروبولوجيا بالاتصال

المحور الثالث: علاقة الأنثروبولوجيا بالاتصال

إن كل ثقافة تميل في إتجاه تأكيد موضوعية الفكر الذي تحمله أو تتضمنه، ولهذا فهي بحاجة إلى قنوات أو وسائل تعطيها تمظهرات مادية ورمزية، ومن هذا المنطلق وجب أن نتساءل: ما علاقة الأنثروبولوجيا بالإتصال؟.

لقد أعطت الأنثروبولوجيا بشكل عام والأنثروبولوجين بشكل خاص أهمية جوهرية لهذه العلاقة، ويتجلى ذلك من خلال الأبحاث التي قام بها.كلود ليفي ستراوس من خلال مؤلفه الشهير(الفكر المتوحش) la pensée Sauvage الصادر عن دار الطبع الفرنسية PION عام 1962 وذلك في باريس، فلقد أعطى المؤلف أهمية قصوى لهذه العلاقة، محددا أطرها ووظائفها الحيوية من خلال الدلالات الثقافية للفكر المتوحش أو ثقافة المتوحش في علاقته أولا بثقافته الأم ثم في علاقته بنا، بإعتبارنا كائنات ثقافية متحضرة ويبدأ ليفي ستراوس في تحديد هذا الموضوع بإبراز قاعدة أساسية مفادها " من الخطأ إعتقاد أن الإنسان المتوحش محكوم فقط بحاجاته العضوية والإقتصادية، ومن الخطأ أن نعتقد أنه يملك نفس الحكم عنا أي أننا مجرد كائنات شبيهة به"[1]. نفهم من هذا أن العلاقة الإتصالية الوحيدة حسب ليفي ستراوس هي علاقة مع الموارد الطبيعية أو مع الطبيعة بشكل عام، وأن المتوحش ينغلق على ذاته ولا يملك أدنى روابط الإتصال مع الغير، وفي نص آخر يدافع ليفي ستراوس عن الروح الإتصالية مؤكدا أن الثروات الطبيعية تدفعه إلى علاقات أخرى تتجلى في العلاقات التجارية من خلال تحويله لمواد الطبيعية الخام إلى مواد حرفية وتقليدية من خلالها أو من خلال تسويقها عن طريق البيع والشراء يتسنى له تحقيق الربح المادي والمالي والتواصل مع أفراد بيئته وثقافته، إنها لحظة بناءة بامتياز في عملية التواصل.

---

[1] Coulde levis Strauss, la pensée sauvage, plan, Paris, 1962, P : 81.

إن كلود ليفي ستراوس يؤكد بشكل قطعي ويقيني بعد تجاربه الميدانية في الأنثروبولوجيا على قبائل الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية أن التواصل بين أفراد القبيلة الواحدة والقبائل الأخرى كان يتم عن طريق تبادل السلع فيما بينهم، ويؤكد كذلك على أن اللهجات التي كانت مستعملة في التواصل تملك منطقا لا يقل أهمية عن منطق المعاصرين، إنه تعبير عن حاجاتهم أولا وعن حدود إمكانياتهم ثانيا، ويعتبر كلود ليفي ستراوس مع ليفي برويل هما اللذان وضعا نهاية لمقولة ما قبل المنطق (prélogique) التي ألصقها من موقف عنصري ومن موقف المركزية الغربية الأوربية على الإنسان البدائي المتوحش مجموعة من الأنثروبولوجين والإثنولوجيين الغربيين على هذا الإنسان، فهذه المقولة في اعتقادهم تعتبر الإنسان البدائي غير مؤهل ضمن البنية المنطقية باللغة المعاصرة فهو ما زال في المرحلة ما قبل المنطقية التي لا تتوفر ولا تنطبق عليها المبادئ المنطقية والعقلية الثلاثة وهي مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ثم مبدأ الثالث المرفوع. ويؤكد كلود ليفي ستراوس بقوله: "إن الإنسان المتوحش كان ماهرا في مهنه وحرفه وكذلك في لهجاته التي أثبتت أنها تملك مفاهيما تعبر بدقة عن خصائص الواقع وتتواصل معه. بالرغم من وعيه بالجانب المادي على حساب وعيه المعنوي"[1].

- إن رغبة الإنسان البدائي أو المتوحش في تحقيق ذاته من خلال علاقته بمشاكل الطبيعة التي كان يواجهها ويحاول الانتصار والتغلب عليها في حلقة صراع دائم ومستمر هي التي جعلت منه متواصلا على الداوم ومع الروح التي تسكنها ولقد أكد كلود ليفي ستراوس " أن النزعة الإحيائية أو الأنيمية كانت بمثابة التميز الذي من خلاله حاول الإنسان البدائي المتوحش تطوير طرق ومناهج ثقافته وتفكيره، فإن كان في علاقة مباشرة إتصالية مع الظواهر فإن ما ورائها كان يتواصل معه من خلال الاحتفاليات والقرابيين التي يقدمها كرمز للاعتراف والانسجام والرضا عن الأرواح الخفية التي تسكن الطبيعة وهذه الأخيرة هي التي تؤمن له إحتياجاته

[1] Ibid, P :83.

العضوية حسب رأيه"[1] ولقد أكدت الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة ما أكده كلود ليفي ستراوس بل وأكثر من ذلك أن علوم ومعارف الإنسان البدائي مثل تصنيفاته في علم النبات بالرغم من إقصائها من قبل (العلم الكلاسيكي) القرن 16و17 إلا أنها أصبحت هذه التصنيفات معتمدة بالخصوص في علم الكيمياء وفي نظريات التواصل وفي هذا المجال وضع ليفي كلود ستراوس تصنيفا إبستيمولوجيا بين العلم والسحر، ولقد سمى أولا علم الإنسان المتوحش بما قبل العلم préscience وهو عكس علم المعاصر الذي يقوم على توجيه حتمي أي أن نفس الشروط تؤدي إلى نفس النتائج وعلم الإنسان البدائي الذي هو مرادف للسحر يمتلك خاصية إبستيمولوجية حسبه هي خاصية le bricolage أو ما ترجم إلى اللغة العربية بالخردواتي وبصياغة أخرى إن علم الإنسان البدائي المتوحش هو علم الخردواتي أي ساعده على التواصل مع الطبيعة والتكيف معها وإيجاد حلول لمشاكله اليومية وهناك من أعطى مرادفا آخر للنزعة الأنيمية وهي النزعة الأنثروبورمورفية L'anthropormorphisme. وهي نزعة عاشها وعايشها وفسر من خلالها الإنسان البدائي المتوحش قوانين الطبيعة والعلاقة فيما بينها بإصباغ صفات ذاتية وإسقاطها على ظواهر الطبيعة ولقد وجدت هذه النزعة حتى في الفكر اليوناني لاسيما مع أرسطو في تفسيراته الفيزيائية لمبدأ الحركة والقوة إذ اعتقد فيما يتعلق بظاهرة سقوط الأجسام، أن الحجر يسقط لأنه يحب السقوط وحسب الإبستيمولوجيين المعاصريين أن تصور أرسطو فيما يخص ذلك يعتبر أضعف حلقة في فلسفته المتعلقة بالطبيعيات.

---

(1) Ibid, P :90.

- نستنتج أن أنثروبولوجيا الإتصال قد تحققت عند الإنسان المتوحش حسب كلود ليفي ستراوس من خلال علاقة الصراع بينه وبين ظواهر الطبيعة ومحاولاته في إيجاد حلول لمشاكلها اليومية للتكيف معها والإضافة إليها.

وتعتبر النزعة الأنيمية والأنثروبورمورفية أبرز نموذج لفعل التواصل دون أن ننسى السحر la magie الذي من خلاله أسست لقنوات تواصل بينه وبين الأرواح التي تسكن الطبيعة في إعتقاده من خلال مجموعة من الطقوس les rites، ومن خلال بعض المواد التي تصاحبها بعض الطلاسم والكلمات التي كان يعتقد أنه بموجبها يمكنه تسخير أرواح الطبيعة لأغراضه النفعية.

المحور الرابع

أنثربولوجيا الإتصال و الممارسات الثقافية المجتمعية و الإقتصادية

المحور الرابع: أنثربولوجيا الإتصال والممارسات الثقافية المجتمعية والإقتصادية

تمهيد

لقد أفرزت التنظيرات الفكرية والممارسات الإنسانية المختلفة في شكلها الثقافي الإجتماعي والإقتصادي جملة من الخطابات، النصوص والمفاهيم المؤسسة لفعل الإتصال الذي أصبح بمثابة براديغم جديد يحدد هوية عالمنا المعاصر المبني على النزاعات والصراعات والرمزيات العنيفة، ولهذا فإن فعل التواصل القيمي أو المعياري هو الحل الأمثل والأفضل لهذه الأزمة التي يعيشها عالمنا المعاصر. من هنا وجب أن نتساءل : كيف يمكن أن نحقق تواصلا معياريا ؟ ومن ثمة : ما أثر البعد الإيديولوجي على العملية التواصلية ؟

وماهي إنعكاساته على المستويات الثقافية ، الإجتماعية والإقتصادية؟

وما هي الشروط المؤسسة للإتصال الإنساني الفعال الذي يجعل من الإنسان مركزا له؟

للإجابة عن هاته الأسئلة والمشكلات لابد من أن نحدد رؤية تنظيرية وإجرائية لفعل التواصل ومن بين الموضوعات التي تفرض نفسها شكلا ومضمونا على حياة الإنسان المعاصر هي الإيديولوجيا في علاقتها بالثقافة، ومن ثمة الإتصال ،فقبل ولوج عالم وفضاء الإيديولوجيا يجب أن نضع لها ضبطا وتحديدا مفاهيميا.

إذن : ماهي الإيديولوجيا؟

1- تعريف الإيديولوجيا :

أ. **تعرف لغوي وإشتقاقي** :"مصطلح إيديولوجيا بالفرنسية idiologie مشتقة من الجذر اليوناني ideias ومعناها الفكرة. ولوغوس فمعناها: العلم أو الخطاب أو اللغة "[1] وفي عملية التركيب نتحصل على أن الإيديولوجيا هي علم الافكار.

ب. **التعريف الإصطلاحي** :"إن الإيديولوجيا هي مجموعة المعتقدات والتصورات التي تركب الوعي الإنساني في شقيه النظري و الإجرائي "[2].

ت. **التعريف الفلسفي** : عرف كارل ماركس و أنجلز الإيديولوجيا في كتابهما "الإيديولوجيا الألمانية " على أنها :"وعي زائف "[3].

"وشبه كارل ماركس الإيديولوجيا بآلة فوتوغرافية مظلمة يصعب على العين الرؤية من خلالها"[4] .

أما كارل بوبر في كتابه"المجتمع المفتوح وأعداؤوه"يعرف الإيديولوجيا على أنها: "تقابل المجتمع المفتوح من خلال ما تحمله من دوغمائية وإنغلاق وقتل للموضوعية و روح النقد "[5] .

ولقد إنتقد كارل بوبر في نفس الكتاب التحليل النفسي لسيغموند فرويد والماركسية: "معتبرا إياهما مجرد إيديولوجيا أخرت العلم الأوروبي، وبالخصوص الماركسية التي دخلت في العلوم الطبيعية الروسية و أخرتها لسنوات طويلة في الوقت الذي شهدت فيه العلوم الطبيعية في أوروبا الغربية وأمريكا تطورا مذهلا"[6] و أفضل نموذج علمي بروسيا تأثر بالبعد الإيديولوجي الماركسي الذي شكل عائقا إبستيمولوجيا أمام التطور العلمي و الذي تجلى من خلال شخصية العالم البيولوجي بتشراف

(1) Noëlla.baraquin et autres, dictionnaire de philosophie, Armand colin, paris, 2007, p : 171.
(2) Ibid, p :172
(3) Karl Marx et Engels, l'idéologie allemande, vrin, paris, 1992, p :40
(4) Ibid, p :48
(5)Karl Popper, la société ouverte et ses ennemies, Flammarion, paris, 1987,p :53
(6)Ibid, p56

(Bechtereve) المعاصر المختص في علم الوراثة حيث أنه تحت ضغط سلطة لينين أكد على مفهوم الثبات كقانون ماركسي في علم الوراثة لكن هذا الأخير في الحقيقة يؤكد على التغير، التنوع و النسبية وكانت مرجعية ماركس أن :"هناك علم واحد ووحيد هو التاريخ الذي من خلاله نفسر تاريخ الإنسان و الطبيعة "[1] .

إن هذا المبدأ أو المرجع الفكري و النظري هو الذي إنطلق منه العلم الروسي وفي النهاية كان مصير المعسكر الشرقي الذي طبق الإيديولوجيا الماركسية مصيرا ديكتاتوريا شموليا لإيمانه بالثبات و الإطلاقية .

2- اللحظة التاريخية للإيديولوجيا :

لقد ظهر هذا المفهوم في عصر نابليون بونابرت ."الذي سمى الإيديولوجيين بالضبابيين" [2]، وهو نفس رأي الفيلسوف دستوت دي تراسي destutt de tracy الذي كان مستشارا لنابليون ولقد أعطى معنى تحقيريا و سلبيا للإيديولوجيا، إن كون الإيديولوجي هو إنسان ضبابي في تصوره هو إنسان مثالي غير واضح في رؤيته ووعيه بالواقع.

- شهدت سنة 1988 سقوط ذريع للإيديولوجيا الماركسية بعدما هيمنت على الفكر والممارسة السياسة في سنوات الستينات والسبعينات و شهد العالم آنذاك أو في هذه الفترة تصاعدا قويا للنظام الكبير الليبرالي والرأسمالي، إذ حدث العكس عن ما تنبأت به الإيديولوجيا الماركسية لكن إعتبر الغرب و بمجيء رئيس الإتحاد السوفياتي غورباتشوف Gorbatchev الذي أسس لفلسفة سياسية جديدة سماها بسياسة : glasnote أي الشفافية في الممارسة و الأداء السياسي الداخلي والعالمي وبهذا "بدءت روسيا صفحة جديدة مبنية على الوضوح و الشفافية والتواصل و التعاون مع خصومها وعلى رأسهم أمريكا التي كانت في حرب باردة

---

(1) Ibid, p61

(2) Destutt de tracy ,mémoire sur la faculté de penser, fayard, paris , 1967, p :74

معها و كانت قد تؤدي لإندلاع حرب عالمية ثالثة "[1] . ومع غورباتشـوف بدأت الإصـلاحات التي شملت مختلف القطاعات سـواءا كانت ثقافية أو إجتماعية أو إقتصـادية سياسية هذا و دون أن ننسـى عودة الدين إلى حياة الروسيين. "إذ أعيد فتح الكنائس التي كانت محظورة في عهد الرؤسـاء السـابقين و قدر عدد الكنائس المفتوحة ب 99 كنيسـة وبهذا تم إحياء الخطاب الديني و تجديده و تجددت معه علاقة تواصل الروسي المتدين بديانته "[2]

- وتزامنا مع سـقوط الماركسـية في الإتحاد السـوفياتي الذي تفكك إثر ذلك إلى دويلات صـغيرة وهذا ما أثر على إنسـجام و توازن السـياسـة الدولية في العالم. "فظهرت حركات إسلامية متطرفة ضمن ما يسمى بالإسلام السياسي فإنعكس ذلك على علاقة التواصـل والحوار والتعاون بين الغرب و العالم الإسـلامي "[3]. فظهرت جماعات تدعو إلى الرجوع للأصـول الأولى في الإسـلام و هكذا شـهد العالمولا سـيما العالم الإسـلامي لحظات دموية وعنيفة." ويعتقد الكثير من المفكرين، الفلسفة والأنثروبولوجيين وعلماء الإجتماع أن ظهور الإسلام السياسي في العالم العربي الإسلامي هو عبارة عن رد فعل لسقوط النظام الماركسي الذي تبنته الدول العربية حديثة الإسـتقلال، اذا كان خيارها الوحيد بعدما تحررت من الإستعمار الغربي"[4]. ويعتقد البعض الآخر أن صعود الحركات الإسلامية العنيفة والمتطرفة هو" صـناعة غربية محضـة، الهدف منها هو إضـعاف قوى التنمية والتنوير في العالم العربي وإستغلال وتسخير الموراد الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز لأغراضها النفعية، التنموية والإقتصادية"[5]. مما أضعف الحالة الإقتصادية والأمنية في العالم العربي الإسـلامي وكدليل على ذلك إنقسـام العراق إلى أربع فيدراليات وإنهيار ليبيا إقتصـاديا، سياسيا وأمنيا ونفس شـيء ينطبق على سوريا

---

[1]François fejto, réfection sur le révisionnisme, gallimard, paris, 1987, p ; 14
[2]Ibid, p ;17
[3]Olivier, roy, l'échec de l'islam politique, le seuil, paris , 1992, p :237.
[4]Ibid, p :239
[5]Ibid, p :241

واليمن مما خلق جو من اللاحوار واللاتواصـــل بين الغرب الإمبراطوري و العالم العربي الإسلامي.

3- المدينة و تحدياتها الكبرى (تراث – حداثة و تواصل) :

لقد عرف أرسطو الإنسان بأنه كائن مدني وسياسي وذلك إنطلاقا من طبيعته وإحتياجه الضـــروري إلى تجمع منظم ومقنن يحقق من خلاله مجموعة من الوظائف البيولوجية،الإجتماعية،الأمنية والإقتصـــادية أي كل ما له علاقة بأبعاده الإنســـانية، وتبقى غايته القصـوى والكبرى هي تحقيق الســعادة. ومن هنا وجب أن نتســاءل: ما المدينة ؟ ماهي عناصـرها ؟ وما علاقتها بالتواصـل من خلال الصـراع بين ماضـيها التراثي و حداثتها الصــناعية، التقنية و القيمية؟ إذن قبل الاجابة عن هذه التســاؤلات لابد أن نعرف المدينة ؟

تعريف المدينة:

أ- **تعريف اللغوي والاشـتقاقي** :"مصـطلح مدينة مشـتق من الأصـل اليوناني polis والأصل اللاتيني cevitas وهذا الجذر يتطابق مع لفظ cité بالفرنسية التي حلت محلها الآن كلمة ville باللغة الفرنســية "[1]، أما في المعجم العربي "فكلمة مدنية مشـــتقة من الفعل الرباعي المزيد تمدن،يتمدن، مدينة ومدن وهي في مقابل الريف أو البادية في المعجم العربي، وتعتبر كلمة حاضرة من المصطلحات المرادفة لكلمة مدينة ومعناها أن المدينة هي أصل الحضارة والتحضر"[2]. ويشير المختصون في الفكر السياسي أن مصطلح مدينة هو مرادف لكلمة دولة في المعجم العربي فعندما أقول المدينة اليونانية هو إشارة للدولة في مفهومها السياسي.

---

[1]Fustel de coulanges, la cité antique, gallimard, paris, 1967, p :143

[2] طاهر احمد الزاوي- مختار القاموس- دار عالم الكتب – الرياض 1998- ص 569-

ب- تعريف إصطلاحي:

1. المدينة :"هي نتيجة لتجمع مجموعة من الناس إما على شكل عائلات أو قبائل يوحدهم رمز ديني مقدس "[1].
2. المدينة : "هي تجمع سياسي منظم تحكمه مجموعة من القوانين غايتها تحقيق العنصر السياسي و الشعور بالإنتماء للإنسان "[2].
3. المدينة : "هي العالم الذي تحكمه الإرادة الإلاهية و قد يسمى كذلك بالمدينة الكونية"[3] .

ج- تعريف فلسفي: عرف أرسطو المدنية قائلا :"أنها جهاز قانوني وسياسي يتكون من مجموعة قرى يحقق الإنسان من خلال العيش فيها كل ما يتعلق بإحتياجاته البيولوجية ومن خلالها يتحقق أمن أفرادها وغايتها القصوى هي الوصول إلى السعادة"[4] .

- هذا، وبعد تعريف المدينة وجب التأكيد على أن المدينة الأوروبية إتخذت أشكالا معمارية وحياتية أسست لما يسمى بثقافة المدينة وهنا نعني بالمدينة ما يصطلح عليه بالكلمة ville فهذه الأخيرة هي: "بمثابة ميلاد لعصر النهضة الأوروبية الذي شهدت من خلاله المدن الأوروبية أعلى درجات الرقي والتحضر وهذا ما حدث في إيطاليا من خلال المدينة florence "فلورانسا" التي تجلت من خلالها ثقافة المدينة في شكلها مادي والمعنوي"[5]، فلأول مرة في تاريخ المدن "دخلت الإنارة إلى كافة البيوت والمنازل وأقيمت أحياء وشوارع واسعة ومهيئة تهيئة عمرانية وحضارية."[6] دون أن ننسى "أن المواطن الإيطالي إستفاد لأول مرة كذلك من حنفيات ضخ المياه الصالحة للشرب بالمنازل ويعود الفضل في ذلك إلى العالم

---

(1)Opp-cit, fustel de coulanges , la cite antique, p : 151
(2)Platon, la république, vrin, paris ,1963, p :65
(3)Marc auréle, pensées, gallimard, paris, 1961, p ;36
(4)Aristote, la politique, , vrin, paris,1971,p :28.
(5)Robert ezrapark, laville, aubier, paris, 1984, p ;83
(6)Ibid, p :85

الفيزيائي والرياضـي الإيطالي torccili توريشـيلي الذي إكتشـف نظرية الضـغط الجوي."[1] وهكذا إسـتفادت إيطاليا من هذي النظرية بإعتبارها مركز النهضـة الأوروبية التي غيرت من نمط التهيئة العمرانية في إيطاليا خاصـة وفي أوروبا عامة.

- هذا، إضافة إلى ما تقدم ذكره تم ربط فلورانسا بمدن الأخرى عن طريق شبكة من الطرق مما سـهل من عملية التواصـل والتبادل التجاري والثقافي ومع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا وبالخصوص في بريطانيا" تغيرت المدينة وتحولت من شكلها البسيط la ville إلى شكلها العملاق المعقد والمركب أو ما يسمى في ثقافة المدينة بالمدن العملاقة metropole."[2]. ومن خصـائص هذه المدن أنها تحتوى على مناطق صناعية وتهيئة عمرانية راقية ونمط حياة سريع ومركب وتكفي العودة إلى المعنى الإشتقاقي لكلمة métropole لندرك أن هذه المدن شهدت مختلف أشكال التواصـل وبالخصـوص فيما يتعلق بقطاعات النقل المختلفة وأهمهاlemétro، القطارات ، الطائرات والسفن." فالمدينة المعاصـرة هي مدينة تواصـلية واتصـالية وما سـهل وغير من وجه المدينة المعاصـرة هي عالم الصـناعة ,تكنولوجيات الإتصال ووسائل النقل المختلفة"[3].

المدينة بين التراث، الحداثة والتواصل :

- تزامنا مع القرن العشـرين ."إنتصـرت وترسـخت ثقافة المدينة من خلال علامات ورموز الحضـارة و التحضر."[4]، فالمدينة في هذا العصر أصبحت بمثابة السبب والنتيجة، فهي نتيجة " لظهور الفردانيات ، وهي بهذا الشـكل إنتصـار للفردانية والإسـتقلالية."[5]، وهي سـبب كذلك " لظهور فضـاءات عامة ينمو من خلالها

[1]Ibid,p :95
[2]Ibid, p :97
[3]Ibid,p :98
[4]Ibid, p :100
[5]Louiz wirtb, le phénomene urbain comme mode de vie, aubier, paris, 1984 ,p : 267.

الإنسان و يتواصل من خلال قيمه، ثقافته وروح تضامنه الإجتماعية، ومن خلال هذه الفضاءات تنتهي الفواصل و الحدود ."[1].

- إن المدينة المعاصرة ليست مجموعة من الأفراد، ولا مجموعة من الأشياء أو البيوت والمساكن ولا الإضاءة ولا وسائل النقل ولا الهواتف ولا مجموعة من المؤسسات والأجهزة الإدارية أي المستشفيات المحاكم، المدراس والشرطة وليست مجموعة من العادات والتقاليد الممارسة و المنقولة عبر الأجيال وليست مجموعة من الميكانزمات و البنايات المصطنعة، وليست مجرد صيرورة للوظائف الحيوية، إن المدينة المعاصرة هي نتاج للطبيعة الإنسانية. وفي هذا المجال يقول شبنقلز و هو فيلسوف ألماني معاصر ومن مؤلفاته الشهيرة "سقوط الغرب" le déclin de l'occident "إن المدينة تملك ثقافة خاصة فهي بالنسبة للإنسان المتحضر مثل البيت أو المنزل عند الفلاح أو القروي و كما أنه للبيت آلهة تحميه ، فإن المدينة كذلك لها آلهة تحمي قداستها و لها جذور مثل جذور بيت الفلاح" والمقصود من هذا التصور أو هذه الرؤية أن المدينة ليست فقط العناصر المادية التي تشكلها ولا الأفراد القاطنين بها... الخ، و إنما الأهم من ذلك في المدينة هي البنيات الروحية و الثقافية و الأصول التاريخية التي تعطيها الصورة الحقيقية و الفعلية،أ وبتعبير آخر إنها فيسفساء يتكلم فيها التاريخ وتحضر فيها الروح و تتجلى من خلالها الثقافة والتراث بمختلف مخيالاته، عادته وتقاليده، إن المدينة بإمتياز حسب شبنقلر وبالرغم من شساعتها تضيق من خلال عناصرها المادية وتتسع وتكبر من خلال روحانيتها ، إن المدينة المعاصرة هي فضاء معقد يحضر فيه العنصر الجغرافي، العمراني، الإقتصادي، السياسي، الإداري و الإجتماعي...الخ، لكن يبقي أهم عنصر وهو العنصر الإقتصادي، فالمدينة هي تنظيم و نظام إقتصادي قائم علي تقسيم العمل و الزيادة في الوظائف

[1]oswald sêngler , le déclin de l'occident, Fayard , Paris 1963, P :46

والمهن، من هنا يتأكد أن العمل هو أداة مهمة للتواصل أي التواصل الفيزيائي أي تلك العلاقة المباشـــرة أو غير المباشـــرة مع أدوات و تقنيات الشـــغل، وفـي نفس الوقت هو تواصـل نفسـي بين العمال، فمن خلال العمل تتحقق هذه المعادلة التي ســـماها robert ezra park "روبرت ايزرا بارك" الأنثروبولوجي والفيلســـوف الأمريكي المعاصـــر، وهو أحد أعضـــاء مدرســـة Chicago (شـيكاغو) الذي إشـتهر بكتاب المدينة la ville :"بنظام أو نسق سيكو فيزيائي من خلاله يحقق عضويته البيولوجية والثقافية في شكلها الفردي والجماعي."[1] .

- وفي نهاية الأمر يمكن التأكيد على أن المدينة القديمة هي أولا و قبل كل شـــيء مصـــدر للثروات وملجأ آمن أثناء الحروب، ولهذا كانت هندســـتها تعير إهتماما وأولوية للقلاع والأبواب المغلقة التي تفتح صـــباحا وتغلق مســـاءا، وكانت تشـيد بمحيطها أســـوارا تحميها من هجمات الأعداء وفي مقابل هذا فإن المدينة الحديثة كما يقول إيزرا بارك: "هي مكان تجاري وجودها مرتبط بالسوق والتنافس الصناعي ويعتبر تقسيم العمل أساس لقوتها و المال المتحرك و الثابت والمشاريع الإقتصادية هي المحرك و المحدد لشروط تطويرها."[2]
- المدينة و إشكالية التواصل

4- التعددية الثقافية فضاء للتواصل :

- قبل أن ندخل في جوهر هذا الموضـــوع ، وجب وبشـــكل معرفي و منهجي أن نتساءل : ماهي الثقافة ؟ كيف عرفت لغة ، إصطلاحا، فلسفيا و أنثروبولوجيا ؟
- مـاهو الـدور المحوري الـذي تلعبـه و لعبتـه في المجتمعـات بمختلف مراحلهـا التاريخية؟ و كيف شـكلت و لا زالت تشـكل محركا للتواصـل؟ وهل يمكن الحديث عن تواصل حقيقي و فعلي من خلال التعددية الثقافية؟

---

[1]Opp-Cit Robert Ezrapark, LA ville , p :98
[2]Ibid, p :99

- **تعريف الثقافة**

أ- تعريف لغوي إشتقاقي : "مصطلح ثقافة بالفرنسية culture مشتق من اللاتينية cultura ويعني العناية بالأرض ومشتق من الفعل اللاتيني colere ومعناه الزراعة و الإعتناء بالأرض."[1] .

وفي المعجم العربي :" كلمة ثقافة مشتقة من الفعل ثقف أي وجد الشيء ، وكما تقول الآية الكريمة : " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ "[2] أي أقتلوا مشركي مكة حيت وجدتموهم ،وهناك إشتقاق آخر تؤكده المعاجم العربية الكلاسكية مفاده أو نصه :" ثقف البعير بمعني ثبته وثقف السهم بمعنى قومه واصلح إعوجاجه."[3]

ب- تعريف إصطلاحي : "مصطلح ثقافة يعني مجموعة من المعارف المستوعبة والمكونة للذوق وملكات الشخصية و ذلك من خلال مختلف الآداب، الفنون والعلوم و غايتها يناء القدرة و الإمكانية على النقد و توجيهه و تربية الذوق وتهذيبه "[4]

ج- تعريف فلسفي : كيف يعرف جون جاك روسو الثقافة ؟

عرفها بقوله : " إن الثقافة هي التربية ، و بهذا المعنى فإنها تتلاقى و تتشارك مع فكرة الحضارة بإعتبار أن هذه الأخيرة هي دلالة علي مفهوم التقدم الإنساني، هذا من جهة و من جهة أخرى فإن الثقافة هي تلك القطيعة و ذلك الإنفصال و التميز عن حالة الطبيعة البدائية الاولى"[5]

---

[1]Charles, bovelles, le livre du sage, vrin, paris ,1995, p :96

[2] سورة البقرة ، الآية 191، سورة البقرة

[3] مرجع سابق – طاهر أحمد الزاوي مختار القاموس .ص : 85.

[4]Emmanuel kant, critique de la raison pure, puf, paris, 1976, p : 491.

[5]J-j.rousseau, discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, vrin, paris, 1968, p :56.

ويعرفها كذالك كلود ليفي ستراوس بقوله :" إن الثقافة هي في مقابل الطبيعة، إنها أشكال مختلفة من الحضارة ، و بصياغة أخرى إنها مجموعة من المعايير والقيم الجمعاوية والفردية و من خلالها كذلك يتميز الفرد عن أمثاله."[1]

- نستخلص من خلال التعريفين أن الثقافة هي تجاوز لحالة الطبيعة الأولى، وفي نفس الوقت هي شكل من أشكال الحضارة و التحضر في نمطها الفردي والجماعي.

- **الثقافات والتواصل :**

تلعب التعددية الثقافية بمختلف أنواعها دورا محوريا وجوهريا في عملية التواصل بإعتبارها المحرك الأساسي للحياة بكل تعقداتها وتركيباتها ، و معنى التأكيد على الحياة هو تأكيد في نفس الوقت علي مجموعة من النقاط الأساسية أهمها أن الثقافة في تواصل دائم مع المجتمع ، فهي التي تعطيه الشكل و المحتوى لقيمه سواءا كانت أخلاقية ، علمية، جمالية، إقتصادية أو دينية ...الخ، لكن هذه العملية الإتصالية لن يستقيم معناها الحقيقي إلا بربط الثقافة بالتاريخ من خلال فعل حواري، نقدي وإستمراري. من هنا أكد جون جاك روسو على "أن فكرة الثقافة هي ذلك التطور بهدف الإبتعاد عن الحالة الطبيعية الأولى و فتح مجال للتواصل بين الإنسان، التاريخ والحضارة"[2] وعلى نفس الوتيرة أكد هيغل على :"أن الثقافة هي صيرورة تاريخية، الهدف منها هو الهيمنة على الواقع."[3] ويتم ذلك من خلال النشاطات العملية التي يمارسها الإنسان في محاولة التكيف مع الطبيعة، و من هنا يسجل الإنسان لمسته ويحدث أثارا مؤكدا وجوده في العالم و ذلك بفضل الثقافة، وفي هذا المجال يضيف هيغل قائلا : "إن الثقافة هي إكتمال للطبيعة الإنسانية ، و ليس التخلي عنها."[4] نفهم من هذا ان ثقافة الفرد قادرة علي إدراك وفهم الواقع الحاضر ، ويلعب الماضي دورا

---

(1) Cl.levi strauss, race et histoire, puf, paris, 1973, p ;79

(2) Opp-cit, j.j. rousseau, discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, p 83.

(3) G.w.f .hegel, phénoménologie de l'esprit, puf, paris, 1971, p :35.

(4) Ibid, p :37.

مهم في عملية الإدراك و الفهم دون أن ننســى و حســب هيغل أن التربية هي تكوين من خلاله يستطيع الإنسان تحقيق كونيته و عالميته

إن مختلف الثقافات تبحث عن حلول لمشـــكلات الحياة المرتبطـة بالتـاريخ والمجتمع وهذا هو التواصـــل الحقيقي والفعلي للثقافة التي ترفض فكرة التاريخ الكوني التي هي مجرد وهم تنادي به الإثنيات المركزية وهي عائق أمام فكرة الإتصـــال، فكل الثقافات مهما كانت لها قيمة فقيمتها الأولى هي الإنسان بتنوع قيمته و ثقافته.

الخاتمة

و تأتي خاتمة هذا الكتاب لتتوج المسار البحثي الطويل و الشاق الذي تعمق وتعامل مع أمهات النصوص الكبرى التأسيسية و المفاهيم الجوهرية و الأفكار الحيوية التي فعلت القدرات التحليلية و النقدية المتضمنة في هذا المؤلف أو هذا العمل وحسب تقديرنا يأتي هذا الأخير كإضافة أكاديمية، تعليمية و بيداغوجية للمكتبة الجزائرية التي مازالت تشح وتقل فيها هذه الأنماط من الدراسات وبالخصوص في مجال الأنثروبولوجيا وبشكل دقيق و متميز في مادة انثروبولوجيا الإتصال التي إرتبطت إرتباطا وثيقا بالقرن العشرين الذي شهد تتويجا لثورة علمية ، تكنولوجية إنتشرت في مختلف أنحاء العالم بفضل فعل الإتصال، من هنا وجب أن نؤكد على أن أنثروبولوجيا الإتصال أخذت على عاتقها و مسؤوليتها العلاقة القيمية ، المعيارية ،الإيتيقية و الأخلاقية للطبيعة الإنسانية في شكلها الفردي أو الجماعي لغايات سامية هي الإنسجام ، التلاحم بين الإنسان وذاته ، الإنسان والآخر ، الإنسان والعالم، وما زالت أنثروبولوجيا الإتصال تصارع بشكل نضالي تنظيرا و إجراءا لتؤسس لثنائية الأنثربولوجيا و التواصل ضمن معادلة أساسها الإنصاف للإنسان و الإنسانية لكن يبقى أهم عائق أمام أنثروبولوجيا الإتصال هو المركزية الإثنية التي فعلت و نظرت لإرادة أحادية هي التي تحكم التاريخ وتقصي بشكل عنصري دور الثقافات الأخرى في صناعة التاريخ ضف إلى ذلك هيمنة التفسيرات الوضعية التي تؤمن بالجانب الكمي التجاري والمحسوس للقيم الإنسانية التي أصبحت مجرد بضاعة أو سلعة مادية إستهلاكية الهدف منها الربح والثروة ولو علي حساب الإنسان و قيمه العليا و في نهاية الأمر إن انثروبولوجيا الإتصال أكدت ولازالت تؤكد على أن تطور الإنسان والإنسانية لن يتحقق إلا بتغير الشرعيات التي تحكم المجتمعات و تعويض الشرعية التكنوعلمية التي هيمنت على الإنسان الكوني بشرعية جديدة هي الإنسان، ثم الإنسان في شكله الكلياني لا الجزئي، و هذا ما سيصنع ثقافة جديدة جوهرها و جواز سفرها هو التواصل .

المحور الخامس

أنثروبولوجيا الاتصال في ظل العولمة

بين الأزمة والتحديات

المحور الخامس: أنثروبولوجيا الاتصال في ظل العولمة بين الأزمة والتحديات

مقدمة

تعتبر المواطنة في علاقتها بالعولمة، أو بالعالم من الإشكاليات السياسية الرئيسية، فعلاقة المواطن بالعالم تطرح مشكلة كلاسيكية مصدرها إمتداد وتوسع رقعة نظرية العقد الإجتماعي الوطنية، لكي تصبح بناء عالمي مشترك، لكن هناك صعوبات مفادها أن السياق المعاصر قد طرح ومازال يطرح مشكلات لها علاقة بالمؤسسات الديمقراطية التي تنتهجها دول دون أخرى، ومع العولمة فإن سيادة الدول أصبحت تطرح الكثير من التساؤولات سببها البعد الإقتصادي للنظام الجديد الذي بات يهيمن بشكل إمبراطوري على مختلف دول العالم، من هنا ولضرورة معرفية ومنهجية وجب أن نتساءل: ما هي المواطنة؟ وما هي علاقتها بالعولمة؟ وما هي الصعوبات والعوائق التي تطرحها العولمة على المواطنة والعكس صحيح؟

إذن قبل تعريف المواطنة لا بد من تحديد وضبط معنى المواطن.

1- **تعريف المواطن**

أ- **تعريف لغوي إشتقاقي:** المواطن بالفرنسية: "le citoyen هذه كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني civis ومن الإغريقية polites ومعناها عضو المدينة menbre de cité"[1]

ب- **تعريف إصطلاحي:** "المواطن هو الذي ينتمي إلى مجتمع سياسي ما، وهذا الإنتماء قد يستلزم المشاركة الفعلية في كل القرارات التي تهم الجماعة عن طريق التصويت"[2].

---

[1]Sous la Direction de Michel Blaye, grand dictionnaire de la philosophe la rousse, paris, 2005, p :135.
[2]Ibid, p :135.

2- تعريف المواطنة: (la citoyenneté)

أعطيت للمواطنة تعريفات أدرجها المختصـون ضـمن ما يسـمى بالمعنى الواسـع le sens large والمعنى الضيق le sens étroit

أولا التعريف الواسـع: "المواطنة هي مجموع الحقوق والواجبات السـياسـية التي يمتع بها المواطن وظهر هذا المعنى في المدينة اليونانية، وفي الجمهورية الرومانية، وهذا في مقابل الدول الملكية التي تنعدم فيها حقوق المواطنة"[1].

ثانيا:المعنى الضـيق: "إختزل بعض المختصـين المواطنة في بعدها القانوني مؤكدين على أن المواطنة هي مجموعة من الذوات التي تطيع الحاكم وترضـــخ للقوانين التي تحميها"[2].

نستخلص من خلال التعريفين أن التعريف الواسـع أكد على أن الحرية شرط أساسي للمواطنة أما المعنى الضيق فيقصي عنصر الحرية مؤكدا على الرضوخ والطاعة.

بعد تعريف المواطنـة، ولكي يســتقيم المعنى ونحقق أهداف وغايات هذا البحث المنهجية والمعرفية لابد من أن نعرف العولمة.

3- تعريف العالم:

أ- **التعريف الاشتقاقي:** مصطلح عولمة بالفرنسية: "La mondialisation مشتقة من الأصـل اللاتيني Mundus ومعناها: الواضـح، النقي والمنمق، وهناك معنى آخر لكلمة Mundus بالاتينية وهو الكون وبالألمانية Welt ومعناه العالم"[3].

ب- **التعريف الإصطلاحي:** "العالم هو الكل الذي يفترض النظام حول مبدأ ما (سواءا كان مبدأ عقليا أو إقتصـاديا أو أخلاقيا أو سياسيا أو إجتماعيا الخ...) وضده الفوضى Le Chaos".[4]

---

[1] Ibid, P :135.
[2] Ibid, p :135.
[3] Op-cit, Sous la Dírection de Michel Blaye, grand dictionnaire de la philosophe, p :682.
[4] Ibid, p:682.

4- تعريف العولمة:

ظهرت كلمة عولمة أولا بمعنى : " الإنســان الذي لا يملك مســكنا ثابتا أو هو ليس غريبا أينما ذهب، إنه يأتي من الكوسموس أو الكون أو العالم أو من المدينة"[1]. فمن خلال هذا التعريف يتأكد أن الإنسان هو العالم.

تعريف ثاني: "العولمة هي نظام إقتصادي، تجاري، مالي، سياسي، واتصالي يشبه في شــكله روح الإمبراطوريات ويعتبر إيمانويل كانط هو أول من جعل في كتابه مشــروع الســلام الدائم من مجتمع الأمم المبني على التعددية الدولية مشــروعا قد يســمى بلغة عصــرنا بالعولمة، لكن الصــعوبة بقيت في تحقيق دســتور عالمي يؤســس لما يســمى بالمواطنــة الكونية"[2]. أي أن المواطن من حقه أن يعيش في أي مكان في هذا العالم حســب تصــور ايمانويل كانط لكن الصــعوبة تكمن في تلبية كل رغبات وأهواء هذا المواطن من خلال دســـتور كوني جامع ومــانع، وذلــك نتيجــة إختلاف الإثنيــات، الايديولوجيات والثقافات والمبادئ والأهواء والمرجعيات والمعتقدات.

ولقد عرف هبرماس العولمة بقوله: "إن العولمة تحاول أن تؤســس لقانون كوني يتعلق بالـذوات في مجموعهـا، والـذوات كـأفراد ضـــمن قـانون دولي من أجل جعلهم ينتمون إلى العالم بشــكل حر ومتســاوي."[3] ومعنى ذلك أن العولمة حســب هبرماس يحاول أن تســـاوي بين الفرد والجماعة ضـــمن قانون دولي لكي يشـــعروا بالحرية والمساواة أينما كانوا وتواجدوا.

بمعنى آخر: أن وجود المواطنين في العالم مرتبط بالضـــرورة وبالإلزام بقوانين كونية لضمان حقوقهم وإلا فيستحيل وجود دولة كونية، والكل يكون فيها غريبا أينما وجد في هذا العالم.

(1)Ibid, p:138.
(2)Ibid, p:138.
(3) Jurgen Habermas, après l'Etat nation, une nouvelle constellation politique, fayard, paris, 2000, p :48.

الفرق بين العولمة والكونية:

يضـــع الكثير من المختصـــين في هـذا المجـال فرقـا بين العولمـة والكونيـة l'universalisme ومن أبرزهم هبرماس في ألمانيا ومارسال كونش في فرنسا مؤكدين على أن العولمة هي إتباع نموذج مشـــترك إقتصـــاديا وثقافيا بين مختلف الدول، أما الكونية فهي عكس ذلك تقوم على المنافســـة الشــريفة بين مختلف الثقافات وبتعبير آخر: "إن العولمة تؤكد على أحادية النموذج المتبع بينما الكونية تؤكد على مفهوم الإختلاف في النماذج".[1] ومن هنا السؤال الذي يطرح نفسه علينا: ما هو موقف كل منهما من المواطنة؟ فإذا كانت العولمة تؤكد على المواطن العالمي الفاقد لهويته وتميزه وإستقلاليته فإن الكونية تؤكد على المواطنة الإختلافية والتنوعية التي لاتفقد هويتها في تعاملها وتعايشــها مع الآخرين، ولقد وضـــع هبرماس مشـــروعا للدولة العولمية ففي تصوره أن هذا المشروع هو الذي سينقذ العالم من ضغوطات وأخطار العولمة، حيث يرى: " أن العولمة إنحرفت عن مســـارها القيمي الصـــحيح، وذلك منذ أحداث 11 ســبتمبر في أمريكا فمنذ ذلك الوقت بدءت أمريكا في محاربة الإرهاب، معتبرة نفســها قاضـي وشـرطي ومصـلح العالم".[2] يرى هبرماس:" أن الأحداث التي أعطت لأمريكا الشـــرعية العالمية لمقاومة خطر الإرهاب، لكن للأســـف وقعت في أخطاء فادحة لا يمكن أن تسمح بها الأخلاق ولا الأعراف ولا القانون ".[3]

ومن بين هذه الأخطاء:

- عندما اعتقلت الارهابين في سجون ومراكز عقابية بدون محاكمة قانونية وأشـهر هذه المعاقل معتقل غوانتانامو في أمريكا اللاتينية وجمعت فيه مرتكبي الجرائم الارهابية وحتى المشكوك فيهم، ففي تصـور هبرماس أن أمريكا إخترقت القانون

[1] Jurgen Haberma, après l'Etat nation, p48.
[2] Ibid, p51.
[3] Ibid, p53.

لعدم إحترامها للقانون الدولي الذي ينص على حقوق المواطنة في المحاكمة العادلة والقانونية "[1].

- يرى هبرماس كذلك: "أن أمريكا قد أخلطت بين المعايير الاخلاقية والقانونية عندما قسمت العالم إلى قسمين هما محور الخير ومحور الشر، فهذا الأخير يضم كل من إيران، سوريا، السودان، واليمن أما محور الخير فيضم باقي دول العالم"[2]، يرى هبرماس في هذا الصدد: "أن أمريكا من خلال هذا التصنيف قد أخلطت بين القانون والأخلاق وبالتالي تظلم الكثير من اللذين اعتقلوا في سجونها بدون محاكمة، إن الحكم الأخلاقي لا يمكنه أن يعوض القانون الدولي المبني على الدليل والحجة البينة للحكم على المجرم"[3].

وفي تصور هبرماس: " أن المنظمات غير الحكومية هي الوحيدة والكفيلة بالدفاع عن حقوق الإنسان بشكل عام وعن المواطنة بشكل خاص، لأنها تطبق القانون وتسعى لمحاكمة المجرم أو الإرهابي في ظروف لائقة وقانونية تحترم من خلالها إنسانيته وآدميته أولا وآخرا"[4]. ولهذا يرى هبرماس أن العولمة:" في شكلها الأمريكي هي هدم للقيم، أما الكونية التي تشارك فيها كل دول العالم فهي بناء للقيم".[5]

أزمة المواطنة في ظل العولمة:

طرحت أزمة المواطنة العولمية بشكل حاد في ظل العولمة، فلقد بات الحلم صعبا بمواطنة المدينة في شكلها اليوناني او شكلها الجمهوري، في عصر جون جاك روسو، بإعتبار أن سلم ومكانة المواطن أختزلت من الإنسان ككل إلى الفرد كمستهلك في ظل العولمة في محتواها الليبيرالي، فالنمو الإقتصادي السريع في مختلف الدول حدد من

---

[1]Ibid, p67.
[2]Ibid, p67.
[3]Ibid, p67.
[4]Ibid, p67.
[5] Ibid, p67.

حرية المواطن وضيق من مساحة استقلاليته وفي المقابل اتسعت رقعة هيئة الدول وأصبح نفوذها الاقتصادي والسياسي أكبر من نفوذ المواطن وهكذا ظهرت أزمة أخرى أفرزتها العولمة هي أزمة الديمقراطية، فهيمنة هذه الدول تماثلت مع ما سمي في الأدبيات السياسية بالأنظمة الشمولية الديكتاتورية.

إنطلاقا من هذا المنظور " أصبحت المواطنة مفهوما مجردا وعاما وخطابا يتحدث به المختصين في السياسة فغاب الجانب الحقيقي وهو الجانب الواقعي الذي من خلاله تتجلى آثار المواطنة في الواقع، فالإنتماء إلى دولة ما في ظل العولمة معناه أن القانون أو الحق هو الضمان لإستمرار الأمم والدول وتعاونها فيما بينها، لكن المواطن العولمي أصبح لا يتمتع بهذا الحق. وما نتج عنه أن المواطنة في أزمة وهذا ما زاد من درجة العنف في العالم، وقلل من السلم، فقد يرتكب مجرم من دولة معينة جريمة ما فمن المفروض في هذه الحالة أن يحاكم بقانون بلده (لإختلاف الأعراف والتقاليد والقوانيين)".[1] فالحكم عليه من خلال النموذج العولمي الأمريكي يعتبر مساسا بحقه وحق دولته، ولقد رأى المختصين في السياسة العالمية أن العولمة الأمريكية قد أضعفت ثقافة تلك الدول وقوانينها مما جعل الكثير من الدول تفقد هويتها القانونية في محاكمتها وتطبيقها للقوانين العولمية، وتحول الإنسان إلى مجرد سلعة في ظل العولمة بسبب متطلباته المادية المتزايدة وظهرت أزمة أخرى وهي عدم الاهتمام بانتماءاته السياسية فأصبح همه الوحيد هو سعادته الفردية.

وبالتالي "فإن المصلحة العامة تقلصت مساحتها على حساب المصلحة الفردية فبدى الاهتمام بالعمل والآداء الجمعاوي مجرد وهم، فالمصلحة الفردية هي المحرك الأساسي لأهواءه ورغباته، فظهرت أزمة جديدة هي ازمة المجتمع المدني الذي يؤكد عادة على الفضاء العام بلغة هبرماس".[2] فأصبح يؤكد على جماعات مغلقة تملك عواطف وذاتيات مشتركة تتحرك تجاه أهداف وغايات مشتركة، إنها بلغة هبرماس

---

[1] Hardt et négri, empire, trad par exil, paris,2000, p :16-17
[2] Ibid, p18-19.

"بداية لنهاية العقل السياسي الذي يعتبر جوهر المجتمع المدني وأصبحت السياسة مجرد مهنة للمختصين فيها"[1]. إن العالم اليوم في شكله العام يتكون من وحدات إقتصادية تبحث عن التعاون الدائم فيما بينها، وتبادل الشراكة والخبرات من خلال النشاطات الصناعية ورأس المال ووسائل وأنظمة الاتصال التي أصبحت تتجاوز البعد المحلي إلى البعد العولمي أو الكوني، وهذا ما أدى إلى إضعاف سيادة الدول الوطنية ونتيجة لذلك تقلص النفوذ والحكم لمختلف دول العالم ونفس الشيء إنعكس على مفهوم المواطنة التي ضعف مستواها لتترك المجال للفردانية، وفي هذا المجال كتب الفيلسوف الفرنسي ذا الأصول الإيطالية نيقري Negri: "إن السيادة في عالمنا المعاصر أخذت شكلا جديدا يتركب من مجموعة من العناصر الوطنية والعالمية توحدت كلها من أجل حكومة موحدة تجلت في شكل الأمبراطورية، أي جهاز يتضمن بشكل تقدمي العالم كله داخليا وخارجيا، والسبب من وراء ذلك هي الشركات المتعددة الجنسيات التي أصبحت تقود الدول وتحكمها كما تريد"[2]. لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا: كيف أصبحت المواطنة في هذا السياق؟ "لقد أصبح براديغم التجارة هو المؤسس للعلاقات الجماعية، وإن العولمة من هذا المنطلق ماهي إلا تكريس لهذا الشكل الجديد من المواطنة صيغت تحت إسم المواطنة التجارية"[3]. فإذا كانت الإنسانية والأرض بكاملها تتشكل في جوهرها وهيكلها ضمن أساس إقتصادي وتقني وإتصالي" فإن الوحدة الإجتماعية التي تعتبر المواطنة جوهرها يصبح من المستحيل تحقيقها ضمن هذه التعقيديات المرجعية، وبما أن العالم في شكله العولمي أصبحت قيمه تتراوح ضمن التبادل التجاري الحر والبرامج المشتركة من أجل الدفاع العسكري، كما يحدث في أوربا الآن (الإتحاد ضد الإرهاب)"[4]، فهذا يختلف بشكل مطلق عن

---

[1] Op-cit, Habermas, après l'Etat nation, p77.
[2] Op-cit :Hardt et Négri, empire, p :70.
[3] Ibid,p :73.
[4] Ibid, p :74.

المفهوم الأرسطي للمدينة ففي تصور أرسطو: "إن المدينة هي مجموعة من المواطنين يحكمهم القانون، وهدفهم هو تحقيق السعادة"[1].

إن البحث عن مواطنة كونية يرتبط بشكل أساسي بمجموعة من التحديات السياسية التي تجمع إتحاد الدول كما يحدث في أوربا، عندما توحدت ضمن الإتحاد الأوروبي. "وأهم تحدي تواجهه هذه المواطنة الكونية اليوم هو مشكلة الديمقراطية الكونية، فالكثير من الدول التي دخلت للإتحاد الأوروبي قدمت جملة من التضحيات أهمها التخلي عن السلطة والحكم الشمولي وإنتهاج سياسة الحكم الديمقراطي."[2] ومن بين الدول التي أقصيت من الإتحاد الأوربي نجد تركيا التي لم تستطع التخلي عن الكثير من مبادئها وأهمها عدم الفصل بين الدين والدولة في ميكانيزمات حكمها وبتحقيق الديمقراطية الكونية نتج عن ذلك وتولد مجتمع مدني عالمي، وهذا ما نلاحظه في الإتحاد الأوروبي حاليا الذي يتمتع بعلاقات ومؤسسات ديمقراطية قوية.

تمظهرت قوتها على المستوى العالمي من خلال منظمة هيئة الأمم المتحدة Les Nations Unis، لكن المواطنة الكونية تفترض بشكل مثالي، معياري ونموذجي مجتمعات دستورية وأن ضعف بعض الدول العالمية في تحقيق الإندماج في مشروع العولمة سببه التأكيد على إنتماءها الوطني معتبرة إياه الشرط الأساسي للإنخراط كما حدث لليونانيين نتيجة إنخراطهم في المواطنة الأوربية، وكما حدث للأتراك لتمسكهم بهويتهم الوطنية مما صعب من عملية الإندماج ومن ثمة تحقيق مواطنتهم الكونية، ولقد أكد (ماتلار) Mattelart في كتابه تاريخ الطوبوية الكونية: "أن المواطنة الكونية هي التفكير في معنى جديد أساسه وجوهره النحن، شريطة التخلي عن الآنا أو العادة الوطنية"[3]. وإذا تأكد ذلك على أرض الواقع فإن المواطنة الكونية حسبه هي: "تحقيق لكثرة وتنوع منظم"[4].

---

[1] Aristote, les politiques, trad par Péllégrin, garnier – Flammarion, paris 1992, p :80.
[2] Ferry, la question de l'État européen, gallimard, paris, 2000, p :39.
[3] MATTELART, histoire de l'utopie planétaire, la découverte, paris, 1999, p :90.
[4] Ibid, p :101.

ولكن ما تهدف إليه العولمة حسب رأيه: "هو سياسة داخلية بدون حكومة عالمية"[1] ولقد صرح هبرماس في كتابه الشهير (بعد الدولة الوطنية) قائلا: "إن المواطنة الكونية هي أنماط جديدة من المواطنة تختفي فيها الهويات لتحدث قطيعة مع التصور الأحادي للسيادة الوطنية"[2]. وفي نص آخر لهبرماس نجده يقول: "إن نهاية الهويات هي بداية لمواطنة مختلفة كأساس الشرعية لسيادة الدولة العالمية وهي أقل تشدد وصرامة من المواطنة الوطنية"[3]، ومن هنا سنحقق المواطن العولمي الذي سيكون ناضجا، ومسؤولا عن كل ما يجري في هذا العالم.

من خلال هذه التنظيرات المختلفة تأكد أن العولمة تؤسس لمواطنة بدون دولة، إنها المواطنة الكونية، فالعالم هو موطن ومسكن الجميع، ولقد بدأت الخريطة الفعلية لهذه التنظيرات تتجسد على أرض الواقع من خلال منطق الحكم الفيدرالي الذي أصبح يمتد في فضاء مواطنة العالم الأوربي بالخصوص إن أصبحت أوروبا بتوحدها وباتحادها هي تجسيد لهذا المنطق.

إن المواطنة الكونية بهذا المعنى أكدت على ميلاد ذاتية جديدة تحرك السياسة وتفعلها في العالم بأسره وفي هذا المجال يرى هنري برغسون: "إن جوهر العلاقات بين الأمم بالرغم من عظمتها تتجلى في العنصر الإنساني الذي يحركها بين فعل النهائي واللانهائي، وبين قيم الإنغلاق والإنفتاح"[4]، ويواصل برغسون تصوراته قائلا: "إن المواطنة الكونية هي مجتمع مفتوح من روح المدينة إلى روح الإنسانية والمعادلة في ذلك هي التعايش والتبادل القيمي بين الجميع"[5].

[1]Ibid, p :117.
[2]Op-cit, cit, Habermas, après l'Etat nation, p :203.
[3]Ibid, p :211.
[4]Bergson, les deux sources de la morale et de la religion, puf, paris, 1932, p :284.
[5]Ibid,p :285.

أما نيقري (Negri) فأكد على "أن القانون الذي يحكم المواطنة الكونية يجب أن يؤكد على سلطة الكثرة والتنوع، فاتحا المجال للحرية والمراقبة في نفس الوقت لبناء خريطة وجغرافيا جديدة"[1].

نستنتج من ذلك أن المواطنة الحقيقية في تصور (نيقري): " تؤكد على ضرورة تقبل السياسة الكونية بإتفاق الأطراف السياسية والمدنية المبنية على تعاون حقيقي وإتصال مباشر بين المواطنين في مختلف دول العالم سواءا كانت دول عظمى أو دول نامية مع إحترام السيادة والوحدة الوطنية لكل دولة"[2].

إن المواطنة الكونية حسب نيقري هي: "ضيافة عامة مبنية على إحترام القوانين بين جميع دول الكرة الأرضية لكن بحضور مراقبين خارجيين في المؤسسات القانونية لتحقيق المواطنة الكونية بشكل فعلي وبهذا تصبح المواثيق والعقود الضامن الوحيد لتفعيل المواطنة الكونية واستمرارها وبات من الضروري لتحقيق الأمان للمواطن العولمي أن يحمي نفسه باسم القانون من تجاوزات وانحرافات السياسية وأن يعي فعلا أنه مواطن العالم."[3] وفي هذا المجال كتب نيقري قائلا: "إذا أراد الإنسان العولمي أن يعي فعلا أنه مواطن عالمي يجب أن يؤكد على أنه ذاتا كونية تتضمن كل ذوات العالم ومن هنا فإن المجتمع العالمي يعطيه حظوظا أكثر في تحقيق مواطنته الكونية، وهذا هو الهدف الأسمى للعولمة وإن كان هدفا مثاليا يصعب تحقيقه في الوقت الراهن".[4]

---

(1)Op-cit, Hardt et Négri, Empire, p :319.
(2)Ibid, p :321.
(3)Ibid, p :321.
(4)Ibid, p :321.

المحور السادس

تحديات وآفاق أنثروبولوجيا الإتصال في العالم ومن ثمة في العالم العربي والجزائر

المحور السادس : تحديات وآفاق أنثروبولوجيا الإتصال في العالم ومن ثمة في العالم العربي والجزائر

ترتبط الأنثربولوجيا المعاصرة في علاقتها بالإتصال بإشكال جوهري مفاده أو فحواه أزمة المعنى التي طرحتها الديمقراطية المعاصرة، هذا المعنى الذي بدى مضطربا بين ثقافات العالم بمختلف مكوناتها سواءا كانت دينية أو علمية لكن الإشكال الذي يطرح نفسه على عالمنا المعاصر هو كيف يمكن توزيع هذه التعددية الثقافية بدون إختزال للديمقراطية من جهة، وبدون المساس بالهوية ففي هذا المجال طرحت تصورات وتنظيرات كثيرة. سميت بأنثروبولوجيا كثرة وتنوع العوالم، ويعتبر الفيلسوف والأنثروبولوجي الفرنسي، مارك أوجيه MARC.AUGE من المنظرين لهذه الفكرة أو لهذا الموضوع من خلال كتابه "من أجل أنثروبولوجيا للعوالم المعاصرة" الصادر عام 1994 عن دار Aubier باريس فرنسا، يحاول من خلال هذا الكتاب تتبع مسألة المعنى وعلاقته بالعوالم المعاصرة فبالنسبة إليه "إن العوالم المعاصرة هي تنوع وإختلاف في الصور بين الآنا والآخر، تتغير دلالاتها ومعانيها من لحظة لأخرى"[1]. أي أن صورة الأوروبي عن العربي قد تتغير من لحظة لأخرى، فقد يأخذ العربي صورة الإرهابي وقد يأخذ صورة المتخلف وقد يأخذ صورة البربري، والعكس صحيح قد يأخذ الأوروبي في تصور الإنسان العربي صورة مغايرة تارة المتحضر وتارة أخرى المستعمر الغاصب هذه هي المفارقة التي تطرح علينا اليوم، فالمشكلة ليست في الحديث عن عالم أو عن عوالم وإنما المشكلة تكمن في أن كل واحد على إتصال مع الآخر. وإن كل واحد منهما يملك على الأقل صورة عن الآخر، وقد تكون هذه الصورة مختلفة في دلالاتها ورموزها ووظائفها، فهي تتأرجح بين ما هو صحيح وما هو خاطئ وأحيانا تكون مشوهة، تحتاج إلى إعادة النظر، ومن ثمة إعادة الصياغة والبناء من جديد على الأقل بالنسبة لمستقبليها أو المتطلعين لمعرفتها، لكن تظل هذه

---

[1] MARC AUGE, pour une anthropologie des mondes contemporains Aubier, 1994, P :73.

الصور أي صورة الأنا عن الآخر من إختراع عقل مركزي أساسها السلطة الإيديولوجية العلمية والتقنية، وبالرغم من هذه الصـــور ذات المرجعية الإيديولوجية والقيمية، يتأكد أن الآخر أصبح وجودا حتميا لا يمكن إنكاره أو سلب وجوده، وفي هذا المجال يوكد مارك أوجيه "على أن هوية الآخر لا يمكن إختزالها، ولا يمكن المساس بها، لأنها في تعارض وتناقض مع صورة الأنا التي جعل منها صورة أسطورية للتخلص من هيمنة صورة الآخر"[1].

إن كل ما يرتبط براهنية وصـــعوبة، الأنثربولوجيا اليوم يتجلى من خلال تعايش ما هو معاصـــر مع كثرة العوالم، فهذه الأخيرة تعني كثرة المعاني المختلفة والمركبة، فالأمم تكون هذه العوالم في علاقتها بعوالم أخرى من خلال علاقات تعاون اقتصادية، علمية، إجتماعية، سياسية، عسكرية وثقافية، فقد نتكلم عن روسيا بإعتبارها عالما، كما نتكلم عن الغرب باعتباره عالما آخر فبالرغم من الإختلافات السياسية، الجغرافية والثقافية، فإن كل مجتمع أو كل عالم بالمعنى الســياســي يتركب من مجموعة عوالم، عالم أرستقراطي، عالم العمال، عالم الفلاحين الخ...

إن إســـتعمال كلمة عالم تعني: "طبقة ما" وفي هذا المجال يؤكد مارك أوجيه على أن: "فكرة العالم قد تشـــير في الكثير من الأحيان إلى ما هو متفرد، وما هو مستقل نسبيا، وإلى ما يحمل علامات التميز"[2]. وقد يعني العالم في دلالة أخرى تلك المجموعات التي تتقاســـم نفس النشـــاط الوظيفي، ونفس العادات والمرجعيات والقيم مثل: وظيفة التعليم، رجال الأعمال والمال والرياضـيين، وفي هذا الصـــدد يقول مارك أوجيه: " إن علماء الإجتماع المعاصـــرين أكدوا على معنى آخر للعالم أســـاســـه أو معياره منظومة القيم التي تميز عالم عن آخر"[3]. لقد صرح سقراط في محاوراته على لســـان أفلاطون: "أننا كلنا مواطنوا العالم"[4]. تظل هذه العبارة صـــحيحة في عالمنا

---

[1] Ibid, P :74.
[2]Ibid, P :75.
[3] Ibid, P :77.
[4]Platon Arepublique, dirigé par François châtelet, pur, 1988, P :19.

المعاصر الذي إختفت فيه الحدود والفواصل بسبب التطور المذهل لوسائل التواصل لكن لا يجب إهمال الخصوصيات الثقافية والاختلافات القيمية بين العوالم، ولقد صرح مارك أوجيه قائلا: "إن توحيد عالمنا المعاصـــر في عالم واحد هو إنتصـــار للقيم الكونيـة، وإن الإختلاف والتنوع هو إغنـاء لهـذه القيم."[1] وهـذا مـا يعطي معنى قوي لاستمرار وبقاء هذه العوالم.

إن المعاصرة من هذا المنظور شدت إنتباه الأنثروبولوجي وأسست لأنظمة جديدة ذات رؤيـة مغايرة للرؤيـة الكلاســيكية مفادها أن العوالم الجديدة قد أنتجت معاني جديدة يشـــترك فيها ويتعاون الأنا مع الآخر والعكس صـــحيح بدون مركب نقص، وهذا ما نلحظـه في التعـاملات الإقتصــادية والثقافية والتظاهرات الرياضـــية (كأس العالم والبطولات العالمية في مختلف الرياضـات) وهذا ما يعطي قيمة، مصـداقية، وشـرعية للمعاصـرة، بالرغم من تعقيداتها الكثيرة، لكن هذا قد يطرح الكثير من المفارقات وعلى حـد تعبير مـارك أوجيـه: "إن المعـاصـــرة قـد تطرح الكثير من المفـارقـات على الأنثروبولوجيا، وبالخصـــوص فيما يتعلق بالموضـــوعات الإمبريقية (التجريبية) التي تطرحها العوالم المعاصرة"[2].

أي على ســـبيل المثال أن هناك موضـــوعات قد لا تنســـجم مع ثقافة الآخر، وهي موضـوعات تجريبية واقعية معاشـة بالحركات النسوية التي تطالب بتعدد الأزواج وهذا لا يتوافق مع الثقافة العربية الإســلامية. وهنا تكمن المفارقة الأنثروبولوجية، التي هي من بين الاهتمامات والتحديات الكبرى للأنثروبولوجيا المعاصرة.

إن قيم العالم تشبه تلك القيم الموجودة في مؤسسة إقتصـادية ما، وبإمكانها أن توظف من مؤسـسـة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر، وفي المقابل فإن اللذين ينتمون إلى عالم واحد، قد لا يتقاســـمون بالضـــرورة نفس القيم، فعالم العمال وعالم الفلاحين وعالم الفنانين هي عوالم غير متجانسة، ومن هنا يبدأ أول تحدي لأنثروبولوجيا المعاصرة.

---

[1] Op-cit, Marc Augé, pour une anthropologie des mondes contemporains, P :81.
[2]Ibid, P :94.

1- تحديات أنثروبولوجيا الاتصال المعاصرة في مواجهة العوالم المختلفة:

إن التحدي الأول يتجلى من خلال الظواهر المكونة والمركبة للمعاصـرة كتطور المدن وتعقدها وتعقد شبكات النقل والتواصل، توحيد بعض المرجعيات الثقافية، كونية المعلومة والصورة الخ....

فهذه المكونات تعتبر جوهر معاصـــرتنا، وهي التي غيرت طبيعة العلاقة بين الذات والآخر، وبين الذات والمحيط الذي نعيش فيه فالوســط أصــبح متغيرا نسـبيا، ديناماكيا وحيويا، وحتى المقولات التي يتضـمنها أصـبحت متغيرة باسـتمرار، بشـكل حســـي، إمبريقي وملموس، مما عقد من مقولتي القريب والبعيد، إن مقولة الآخر في تشـكل وتكون دائمين، لكن بعض الظواهر تختزله وتمحيه إنطلاقا من فعل اسـتجابة الأنا مثل ثقافة كره الأجنبي، أو فوبيا الآخر، التميز العنصـري، وجنون الهوية، فهذه الإفرازات قد تجعل من الآخر صـلبا وضـمن قائمة اللامفكر فيه، وهذا ما فتح المجال واســعا للحظات عنف مميتة وقاتلة والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الإنســانية، إن الهوية الحقيقية حســب مارك أوجييه: "تتكون وتتشــكل من خلال المفاوضـــات مع مختلف الغيريات، وهذا مايقلل من حدة أزمة الهوية وأزمة الغيرية، وهذه المفاوضـــات إن كانت فعلا حقيقية وصــادقة أمكنها أن تشــكل لصــياغة فكر إيجابي بين الذات والآخر، وهكذا تستطيع الهوية من خلال أفرادها وجمعاتها أن تحقق كينونتها"[1]. ومن هذا المنطلق فإننا اليوم أما وضــــعية أو حالة إســـتعجالية، ونحن في هذه الظروف المتأزمة حســـب مارك أوجيه: "في حاجة إلى أنثروبولوجيا إســـتعجالية أو إثنوغرافيا إستعجالية"[2]. وذلك من أجل إنقاذ آخر المتوحشين أي اللذين تسببوا في أزمة الغيرية من خلال إفرازاتهم العنيفة كالإرهاب، التطرف والتميز العنصري، وإن هذه الأزمة على حد تعبير مارك أوجيه:" هي التي تســببت في أزمة المعنى، وأصـــبح من مهام

---

[1] Ibid, P :100.
[2]Ibid, P :102.

الأنثروبولوجيا اليوم هو كيفية بناء المعنى، هذه الأزمة في المعنى التي تسبب في نشر عدوى أصابت المعاصرة في مجموعها"[1].

أما التحدي الثاني فيرتبط بمشكلة ما بعد الحداثة، فالوقائع سواء كانت محلية أو رمزية والتي ترتبط في شكلها التقليدي بالإثنولوجي تتمحي وتختفي، ولهذا فإن الأنثروبولوجيا إذا أرادت أن تتخلص من مطبات الإثنوغرافيا الإستعجالية، وأن تعتبر نفسها علما جاء ليعطي الشرعية للأقليات، فإنها ملزمة بإدماج هذه الأقليات ضمن الأغلبية لتحل في الأخير مشكلة أزمة المعنى أو أزمة الغيرية، وهكذا حسب مارك أوجيه: "ستتوفر لا محالة مجالات ومساحات لبناء موضوعات التلاقي والتوافق والإنسجام والتعايش بين هذه العوالم لنسجل بذلك ميلاد عالم جديد تختفي فيه صور وظواهر أزمة المعنى بكل أشكالها".

أسس وشروط أنثروبولوجيا التواصل: إن التواصل بين الثقافات أصبح ضرورة ملحة من أجل بناء حضارة أساسها البعد الإنساني، وفي هذا المجال سنستعرض عمل مهم لجان روني لاد ميرال JEAN René Ladmiral ولإدموند مارك ليبيانسكي Edmand Marc Lipiansky– تحت عنوان التواصل بين الثقافات.

La communication–inter culturelle صدر هذا الكتاب في باريس عام 1989، يؤكد أصحاب هذا العمل أن للتواصل بين الثقافات شروط جوهرية وأساسية مفادها أن التواصل لا يمكنه أن يتحقق بدون هوية، وبدون تمظهر وتحقق واقعي وملموس لأطراف التواصل فعادة البدايات الأولى لأي تواصل تشكل صعوبات كثيرة تتجلى وتتحدد في غالب الأمر من خلال التساؤولات التالية: من أنا؟ من أنت؟ من نحن؟ ومن هم؟[2].

---

[1] Ibid, P :105.

[2] Jean René ladmiral, Edmand Marc lipiansky, la communication inter-culturelle, Paris, 1989, P :31.

وهذا مايشكل الإلتزام الأخلاقي والأنطولوجي الأول لكل تواصل، فالأنا لا يمكنه أن يتواصل مع آخر لا يعرفه ويجهل هويته، فتحديد هوية الآخر سواء كانت جنسية أو إجتماعية أو مهنية أو وطنية أو إيديولوجية الخ... يعتبر مهم لكل تبادل في فعل التواصل إن الهوية حسب لادميرال وليبيانسكي: "تعتبر عنصر أمان وإرتياح ضد فوبيا الآخر المجهول من أجل إحتواءه ضمن خطابات ومجالات الهوية والغاية من ذلك هي خلق فضاء عائلي وحميمي من أجل اللقاء وإقصاء الأحكام المسبقة، فتختفي حينئذ الطقوس التواصلية المصطنعة، وهذا ما يجعل التفاعل سهلا وإيجابيا وخال من الأخطار وهذا هو الوجه الإيجابي في علاقة الأنا بالآخر المختلف تماما والذي قد نسميه الغريب بالنسبة للأنا".

إن الآخر هو صقل وبناء للهوية وأكثر من ذلك حسبهما هو بناء قوي لوعي وحدة الهوية لكي تستمر في تبادلاتها وإتصالاتها وحوارها الآمن مع الآخر.

إن شعورنا بالهوية ينطلق من مبدأ أساسي هو أن التواصل ليس مجرد مناسبة تتجلى من خلالها علاقتنا بالعالم أو الثقافة بل هو صيرورة بناءة للهويات الفردية، ولهذا فإن أنثروبولوجيا التواصل تتطلب وبشكل إلزامي حضور فاعلين ذوي هويات غير يقينية في البداية. لكن في لحظة التبادل والتواصل حدث الإنتقال من ما هو غير يقيني إلى ما هو يقيني، أو كما عبر عنه الفيلسوفين:" أن شعورنا بالهوية يرتبط أساسا بمجموعة من الطقوس والسلوكات والعادات والتقاليد ما إن ثم تبادلها والتعامل بها أصبحت مألوفة ومشتركة بين المتحاورين وهذا ما يعطي أمالا للوعي بالهوية في وحدتها واستمرارها حتى في اللحظات المتغيرة"[1].

إن اللغة مثل الهوية تلعب دورا أساسيا وتمثل شرطا جوهريا في التأسيس لأنثروبولوجيا التواصل، فهي تشكل مجالا خصبا للإنفتاح والتبادل على نفس نمط الهوية حيث تنقلنا حسب الفيلسوفين: "من ما هو عادي ومألوف إلى ما هو أعلى

---

[1] Ibid, P :35.

وأســـمى، ومن ما هو غريب إلى ما هو قريب ومســـتأنس"[1]. فهي التي تجعل من الشـــخص مهما كـان متملكـا لهويتـه بشـــكل واقعي وحقيقي وكما يقال لاديمرال وليبيانسكي: "إن اللغة تمثل مشروعا وفي نفس الوقت إلزاما من خلاله تنصهر الذوات في ذات واحدة شريطة أن تفهم الذات الآخر وأن تقدر الذات لغة الآخر دون إصـدار أحكام ومقولات حول من يتكلم بها ويتعامل من خلالها ويمارســـها، ومن هنا يمكن التأسـيس لمعاني مشـتركة مهمة لبناء حياة وعالم مشـترك"[2]. فعندما أثق بلغتي فإن هويتي تكتمل وتصبح مؤمنة ومؤهلة لكي تخاطر بنفسها مهما كان نوع التواصل الذي تخوضه ومهما كان المتحاور الذي تحاوره، ومهما كانت اللغة والخطابات التي تتعامل معها. إن اللغة تعتبر مكسب لأنثروبولوجيا التواصل بشكل عام وللهوية بشكل خاص، فهي حسب الفيلسوفين: "بإمكانها أن تحدد إستراتيجية، غايات وأهداف التواصل من خلال ثنائية الشكل والمضمون، أو الشكل والرمز"[3].

إن اللغة تقرب المجهول لتجعله معروفا، وبواســطتها تتم علاقة التبادل بشـــكل إيثيقي وأخلاقي، مركزه إحترام الذات للآخر وإحترام ثقافة المرســـل والمرســـل إليه، باختصـار إن اللغة حسب التأويليين وفي شكلها الهرمنيطيقي هي إنتصـار للمعاني، ومن خلال عملية أو فعل الإتصـال فإن الإنتصـار يجد لنفسـه نقطة وصـول نهائية سيبها اللغة.

إن اللغة كما يعرفها الكثير من اللغويين واللســانيين هي حمولة ثقافية لفئة أنها تحمل ســلوكات، عادات وتقاليد مجتمع ما، ولهذا فإن الإتصـــال الحقيقي يجب أن ينســجم بين اللغة والســلوكات التي يســلكها أفراد مجتمع ما أو ثقافة ما، فاللغة هي إنسجام بين الكلام والسلوك، وإلاّ فإن التواصل يصبح بدون جدوى أو معنى أي فارغا، فمثلا آداب المعاملة تفقد معناها من الناحية اللغوية إذا لم تكن ســلوكا فعليا، واقعيا ويوميا، إن الفعل اللغوي هو الذي يطور وظيفة التواصـل، إن اللغة تشـبه ســيناريو

---

[1] Ibid, P :37.
[2] Ibid, P :38.
[3] Ibid, P :41.

محبك في قواعده وأهدافه، من خلاله يتبادل الممثلين الأدوار بشكل منسجم دون أن يؤثر الواحد على الآخر، شرط أن يحترم كل واحد منهم المساحة الإيثيقية، الأخلاقية والهويتية لكل منهم وبالتالي تقل حدّة الصراع بين الأفكار والآراء والتأويلات والنزاعات بين الهويّات، إن اللغة إذا كانت واضحة، وتضمنت الآخر في شكله الإيثيقي والأخلاقي أي دون إصدار أحكام مسبقة عنه، أو بناء مقولات عنصرية، إثنية عنه. ففي هذه الحالة تعتبر تأسيس للفهم وهنا نضع حدا واقعيا وحقيقيا للاّفهم، إن الفعل اللغوي يتضامن مع الهوية ليؤسسا معا لتواصل أساسه أو غايته ليست فقط المعلومة، وإنما البحث عن كيفية استعمالها حتى لا تنحرف عن طابعها الإنساني الخالص، وهذا ما تعاني منه مجتمعاتنا المعاصرة التي جعلت من التواصل سلعة هدفها الربح، وإن الإنسان ليس مركزها، وإنما ما نجنيه من خلاله، وهكذا حسب الفيلسوفين: " إن الصفة الجوهرية لفعل التواصل، وهي ضرورية تكمن في جعل حياة الفرد ممكنة من خلال ما تقدمه من معلومات بناءة عن الطبيعة الإنسانية، إذا كانت فعلا إنسانية، فهي تحمل قوة التلاحم الحي والتفاعل الفطري والطبيعي بين المجموعات لتشكل وحدة البناء الإجتماعي الذي يتجلى من خلال الهوية، وبالتالي تصبح وسائل وتقنيات الإتصال ثانوية إذا كان صوت الإنسان يتكلم من خلالها"[1]. إن العلاقة الإتصالية تكون إنسانية إذا كان التنوع بين الذات والآخر يتم بعيدا عن التسلط (تسلط الذات على الآخر، والعكس صحيح). وإذا تحقق العكس فإن السلم الإجتماعي ينهار وتنهار معه كل القيم والمعاني لكن تكنولوجيا الإتصال هي وحدها الكفيلة والقادرة على تجديد العلاقات الإجتماعية في بعدها الإنساني الخالص. وهي مصدر لكل تبادل ثقافي.

2- المسألة الثقافية في العالم العربي- الجزائر أنموذجا:

تعتبر المسألة الثقافية من الموضوعات الأساسية والجوهرية في الأنثروبولوجيا، لاسيما فيما يتعلق بأنثروبولوجيا الإتصال وذلك من خلال الإشكال التالي: أي ثقافة لأي سياسة؟ وأي ثقافة لأي مجتمع؟ من هذا المنظور فإن السياسات الثقافية تعتبر

[1] Ibid, P :42.

مهمة في العالم بأسره وفي الجزائر تعتبر هذه المسألة أو عملية حاسمة ومقررة لمصير الأفراد والجماعات فالسـياسـة الثقافية هي التي تحرك وتوجه الممارسـات الثقافية وبالخصوص الإبداعات المختلفة سواءا كانت فنية أو علمية أو تقنية أو أدبية الخ.

ومع وجود وزارة للثقافة في العالم العربي والجزائر تأكد أنها سـتعمل جاهدة من خلال تدخلاتها لتجعل من الثقافة فعل عام، وذلك لضمان الإبداع الثقافي في كل المجالات، فمنذ أن وجدت هذه الوزارة التي يعتبر تاريخها في الجزائر والعالم العربي تاريخا طويلا. وبعد نهاية التسـعينيات في الجزائر لعبت هذه الوزارة دورا بارزا ورائدا. إذ تخصص لها كل سنة ميزانية مالية ومجهودا سياسيا كبيرا لترقية الثقافة في مختلف المجالات وذلك من أجل خلق فلسـفة للفعل الثقافي ومن هنا حدثت القطيعة مع المراحل السابقة، إذ لم تكن هناك وزارة خاصة بالثقافة وهذا ما تسبب في فراغ ثقافي، إذ كانت وزارة الإتصـال تنوب عن وزارة الثقافة فخرجت هكذا منذ التسـعينيات الثقافة من برجها العاجي المركزي لتصـبح جزءا مهما من برامج ومشـاريع الدولة الجزائرية، إنها بداية لصناعة ثقافية بلغة مدرسة فرانكفورت. وهكذا بدأت المصـالح الإدارية في الترويج للمنتوج الثقافي لينتقل من حالة العرض إلى حالة الجوهر بمعنى الإنتقال من ظرفية الثقافة التي كانت إلى غاية التسـعينيات مجرد تظاهرة أو إحتفالية تختص بها المناسبات فعلى سبيل المثال كلما حلت ذكرى أول نوفمبر أو ذكرى النصر والإستقلال تم التحضير لذلك أدبيا وفنيا، لكن بمجرد إنتهاء المناسبة تنتهي هذه اللحظات الثقافية الآنية، لكن صناعتها بشكل عقلاني هادف بدأ في السنوات الأخيرة، "وتفهم القائمين على هذا الجهاز أن الثقافة هي إسـتراتيجية مرتبطة بالمجتمع وتقدمه الحضـاري، الثقافي، الفكري، المادي والروحي، فزادت هذه الميزانية مما يدل على أهمية الثقافة في المجتمع الجزائري، وأهم حدث تميزت به الثقافة ووزاراتها هو التأكيد على دور الفن

والإبداع الأدبي في ترقية الوعي الإجتماعي لدى المواطن الجزائري"[1]. إذ تجلى هذا الحدث في خلق مهرجانات أدبية، سينمائية واقعية وتلفزيونية والدليل على ذلك مهرجان وهران للسينما العربية ومهرجان عنابة ومهرجان الساورة ببشار، بدون أن ننسى المهرجانات الفنية والشعرية، ففي التلفزيون الجزائري أصبح الإهتمام أكبر بالمجال الثقافي وعلى سبيل المثال لا الحصر عودة برنامج ألحان وشباب في حلة جديدة إحترافية، غايتها ترسيخ الإبداع الفني والموسيقي في الجزائر، دون أن ننسى مهرجان الشعر من خلال برنامج أحسن شاعر في الجزائر، الذي يتنافس من خلاله أهم الشعراء للحصول على هذا اللقب ومما زاد من تنوع المشاهد الثقافية في الجزائر، إقامة المعرض الدولي للكتاب كل سنة بالجزائر العاصمة وذلك للتشجيع على التثقف، القراءة، والمطالعة باعتبارها وعاء هام لصقل شخصية المواطن الجزائري، وجعله على إتصال دائم بما يحيط به محليا أو عربيا أو عالميا، فكل سنة تتنافس دور النشر من خلال هذا المعرض، لعرض أمهات الكتب، ويعود الفضل في ذلك لوزارة الثقافة التي منذ أن وجدت ضمت الحقائب الوزارية عملت على وضع إستراتيجية محكمة ومدروسة لتشجيع وترسيخ الفعل الثقافي بين أوساط الجزائريين، لكن بالرغم من ذلك فإن المشهد الثقافي في الجزائر يبقى إيديولوجيا.

"فهو يتحرك في إتجاه سياسي يحمل صورة عن آلة الإيديولوجيا في الجزائر، بمعنى أن الثقافة هي اللسان الناطق للسلطة الجزائرية فمن خلالها تبرر وتمرر أفكارها للفرد والمواطن الجزائري"[2].

---

[1]MIMOUNI MOSTEFA, culture est espace en Algérie, Casbah, Alger, 2016, P :63.
[2]Ibid, P :74.

زيادة على ذلك فإن الثقافة في الجزائر مازالت مركزية بمعنى أن الإنتاج الثقافي والفرجة الثقافية تبقى غير موزعة بشكل عادل ومنصف على مختلف جهات الوطن، وللخروج من هذه الحالة يجب أن نؤسس لقطيعة مع الإيديولوجيا الثقافية باعتبار أن الثقافة ليست مجرد أحلام تصنعها آلة الإيديولوجيا والعقل المركزي للدولة وإنما هي وعي إجتماعي وإنساني حر، أساسه توحيد مختلف الثقافات والإثنيات وخلق جسور تواصل فيما بينها ذلك أن طبيعة المجتمع الجزائري هي تركيبة إثنية وثقافية تمتاز بالتنوع والغنى والإختلاف، ولكي تضمن الجزائر عملية التلاقح والتكامل والتواصل بين مختلف هذه الثقافات"[1]، فمن واجب وزارة الثقافة أن تبدل مجهودات جبارة لتقريب هذه الثقافات وإخراجها من الإنغلاق إلى الإنفتاح. وهكذا تضمن الجزائر وحدتها السياسية، الإجتماعية والثقافية.

[1] Ibid, P :75.

الخاتمة

الخاتمة

يعتبر القرن العشرين ثورة إتصالية وتواصلية بإمتياز، هيمنت من خلالها المعلومة والصورة على مختلف النشاطات والمجالات الإنسانية، وإتخذت هذه الهيمنة أشكالا كثيرة سواءا كانت ثقافية، تعليمية، سياسية، إقتصادية أو دينية حيث غير الإتصال في الكثير من مناحي الحياة الإجتماعية، وأحدث الكثير من الطفرات والتغيرات في نمط الحياة، الإستهلاك والعمل، وأصبح الإتصال هو المحرك والموجه لمسار حياة الإنسان المعاصر، وأكثر من ذلك أصبح يملك القدرة على التنبؤ بمستقبل الإنسانية، إن هذا النجاح الباهر والمستمر، قد أثر على سياسات الدول والأمم، وغير في الكثير من المفاهيم والقيم الأساسية، وهكذا تم التحول من إبيستيمية الإنسان الإقتصادي إلى إبيستمية الإنسان الإعلامي، وبالرغم من الحوارات والنقاشات التظرية والعملية لتوجيه فعل التواصل وخلق إستراتيجيات جديدة ومعاصرة، إلا أن الكثير من المختصين في مجال الإعلام والإتصال يدعون إلى فتح فضاء للحرية من خلاله نحقق جودة في الأداء الإتصالي وشفافية وديمقراطية للوصول إلى الحقيقة، إن إجتماعية التواصل التي أكد عليها الكثير من المنظرين في هذا المجال. وتحققت على أرض الواقع قد تواجه أخطارا إذا لم نتمكن من تقويمها وتحديد معايير قيمية مصاحبة ومرادفة لفعل التواصل وهذا ما يحاول الأنثروبولوجي المعاصر التنظير له، والدفاع عنه عمليا ضمن مجموعة من التيارات، المدارس والإتجاهات التي ذكرنا جزءا مهما منها في هذا العمل، حيث ينطلق الأنثروبولوجي من قاعدة أساسية مفادها أن المجتمعات المعاصرة هي مجتمعات تواصلية تجلت أهم مظاهر التواصل فيها من خلال وسائل الإتصال الجماهيري، التي أصبحت المرجعية المبدئية والأصلية للحقيقة، من خلال الصورة والخطاب، وفي خضم هذا الزخم الإعلامي والتواصلي ترسخت الكثير من الإيديولوجيات التي حاولت تحطيم الهدف والرسالة الحقيقية للإتصال المتمثلة في خدمة القيم الإنسانية والروحية هذا من جهة ومن جهة أخرى جعلت من الإتصال إستثناءا وحكرا لمجموعة دون أخرى. وهذا ما حاولت أنثروبولوجيا الإتصال

الدفاع عنه من خلال مناهج ورؤى مختلفة إن تجارب العقل الإنساني في القرن العشرين كشفت عن الكثير من الإنتصارات وأهمها الديمقراطية، والثورة الإعلامية، لكن بالرغم من ذلك تبيّن أن هشاشة الإنسانية زادت حدتها أمام تصاعد الإيديولوجيات والأفكار الداعية للعنف والحروب النووية التي تهدد مصير الإنسانية بالفناء، ومنذ منتصف القرن العشرين حاولت وسائل الإتصال الجماهيري من خلال القوانين والمواثيق التي أرستها أن تبحث في تطوير العالم بما هو أفضل عن طريق البرامج الفكرية والثقافية، وأفلام وثائقية تربوية وتعليمية دون أن ننسى دور الفن السابع وإبداعاته السينمائية التي أثرت إيجابا في ترسيخ الحوار الديمقراطي، وبناء النسيج الاجتماعي والحفاظ على تماسكه، دون أن ننسى دور هذه الوسائل في خلق أجواء تواصلية منسجمة ومتناسقة مع المؤسسات الاجتماعية بإختصار إن أنثروبولوجيا الإتصال حاولت ولازالت تحاول أن تغوص في أعماق المجتمع بكل تناقضاته وتعقيداته ولا وجود لما بيّن قوسين في أدبيات أنثروبولوجيا الإتصال بمعنى آخر أنها تتعامل مع كل موضوعات وأطياف المجتمع، دون إنتقاء ولا إستثناء ولقد ساهمت أنثروبولوجيا الإتصال في الحد من أحقاد الثقافات والأحكام السلبية والهدامة فيما بينها لترسي مفاهيم التسامح، الحوار، التعاون، التبادل والتضامن أي إحتواء كل تناقضات وأهواء المجتمعات باختلاف ثقافاتها وإثنياتها والهدف الأسمى من ذلك هو إنتصار الإنسانية التي عايشت ولا زالت تعايش الأخطار التي تهددها سياسيا، إقتصاديا، إجتماعيا وفرديا، والتأكيد على ثقافة وقيم يقودها عقل مطمئن عوض عقل مادي قلق. وبالرغم من إنتصار الديمقراطية التي تجلت في قيم ومبادئ أهمها وأبرزها حرية الفرد وإستقلاليته، المساواة والعدالة بين الجميع وأمام القانون، مبدأ تكافؤ الفرص، الدفاع عن شرعية الحوار العقلاني المؤسس على حجج وبراهين منطقية ومقنعة في مقابل حجج أساسها الأهواء، الرغبات والمصالح.

إلاّ أن هذا النجاح والإنتصار رافقته حالة من الإكتئاب تجلت في فقدان عامل الثقة في مدى قدرة هذه القيم والمبادئ على تنظيم تصورنا الشمولي والكوني للعالم، وفي هذه الحالة المعقدة تفتح أنثروبولوجيا الإتصال آفاقا وفضاءات لحلول وإجابات، وأكثر من ذلك لآمال مستقبلية، هدفها تأكيد وتطوير هذه القيم لبناء إنسان ديمقراطي، يمجد الحوار ويقدسه، ويجعل منه ثقافته الأسمى في مؤسساته وتعاملاته اليومية، وأكثر من ذلك إن هذه الأنثروبولوجيا تدافع وبشكل ميداني إجرائي عن وعود وأفكار المفكرين، الفلاسفة، علماء الاجتماع، الأنثروبولوجيين والساسة وأبرزها الوعد بإرساء قواعد عقلانية وأخلاقية إيثيقية وقانونية لفعل الإتصال.

إن وسائل الإتصال المعاصرة أصبح بإمكانها المساهمة في بناء القيم وتوعية المواطن قانونيا في كل مجالات حياته اليومية، سواءا كانت سياسية أو تعليمية أو إقتصادية أو تجارية أو طبية، وإن الأنثروبولوجيا المصاحبة لها كشفت عن قدرتها الفعالة في إكتمال هذه القيم، والتأسيس لعقلانية جديدة مبنية على النقد في جوهره المنهجي والبناء. وأكثر من ذلك دفاعها المستميت عن الحرية.أي حرية القيم الهادفة إلى كسر القيود والثقافات الموروثة، كالثقافة الذكورية، والطابوهات والقضاء على الدوغمائيات السياسية والدينية، وبالخصوص في المجتمعات العربية التي ما زالت سجينة العقل الثيولوجي المنغلق على ذاته والرافض لما هو جديد في قيم التواصل. إن حرية الفكر التي تنادي بها أنثروبولوجيا الإتصال تؤكد على شعار مهم ومقدس وهو أن نكون أصدقاء للإنسانية لا أعداء لها، ولا يتم ذلك إلا من خلال فلسفة الحوار، التسامح والتواصل وهكذا يمكن للإنسان أن يحقق فكرة الثقافة الأصيلة والسامية وهي أن نعيش، وأن نبني العالم معا. ولهذا يجب أن تخضع الحداثة بكل إنتاجاتها المادية والمعنوية لهذه الثقافة الأصيلة ولقد تطورت هذه الأخيرة وتبلورت كمفهوم في أوروبا في القرن السابع عشر وهي تعبر عن أصالة، ما هو أخلاقي وخيّر كطبيعة باطنية في الإنسان، تطمح في فتح جسور وآفاق للتواصل الأخلاقي المبني على قيم هذه الثقافة التي هي إنعكاس لصورتنا الباطنية والداخلية، ولا يجب أن تكون قيمنا أو ثقافتنا

إنعكاسا لما هو نمطي، موضوعي وخارجي، فإذا كنت صادقا مع نفسي، هذا يعني أنني سأكون مخلصا لأنايا الباطني، ومن ثمة مخلصا للآخر، وهذه قمة الحداثة التي تبحث عنها الثقافة الأصيلة، والهدف الأسمى لأنثروبولوجيا الإتصال، ومع وجود وسائل الإتصال الجماهيري بشكل تجاوز الحدود، وبكم هائل في العشرينات الأخيرة وذلك لغرض تنظيم الفضاء العام، إلا أن الملفت للنظر هو تلك الطريقة التي تسير بها هذه الوسائل، إذ غلب عليها الطابع الإنفعالي والإيديولوجي، عوض الخطاب أو الخطابات المبنية على الحجة العقلية والمنطقية، وأكثر من ذلك إتجهت هذه الوسائل إلى تكريس منطق جديد سمي بمنطق المرئي وشكل من أشكال المعرفة، يرفض التجريد، ويجعل من الصورة الحقيقة الأولى، فظهر كوجيتو جديد يؤكد على أن فعل الرؤية هو حقيقة الوجود، ومن هنا أصبحت ثقافة المرئي هي المهيمنة على المجتمعات المعاصرة، وهي التي تحدد شكلها وجوهرها، وأكثر من ذلك إستطاعت هذه الخطابات المبنية وفق المرئي أن تؤكد على قدرة هذه المجتمعات في بناء حاضرها وتصور مستقبلها من خلال صور منطق المرئي، وهذا ما أثر على التنوع الاجتماعي إذ أصبحت الرؤية متبادلة، بمعنى أن منطق تبادل الصور يتضمن تبادل الثقافات وهذا ما هيأ الذهنيات لتقبل الآخر في بعض الأحيان. فالخطابات الإنفعالية التي كرستها وسائل الإتصال الجماهيري في الكثير من الأحيان أعطت صورة سلبية عن الآخر، فالعمليات الإرهابية التي حدثت في أوروبا، قد جعلت من هذه الوسائل تتصور أو تعطي صورة معادية للإسلام والمسلمين، إن هذا الحكم العام هو الذي حاولت أن تكرسه هذه الوسائل منذ العشرينات الأخيرة، لكن بالرغم من ذلك، فإن أنثروبولوجيا الإتصال فتحت إمكانية الحجاج لتنظيم ثقافة الصورة أو المرئي، فهي وحدها التي تعبر عن الحقيقة من خلال الإقناع العقلي، المنطقي والواقعي. ومن مجمل القضايا والإهتمامات الكبرى التي تحاول العلوم الإنسانية والإجتماعية عامة والأنثروبولوجيا خاصة التأسيس لها ونشرها كنظام فكري وأخلاقي يوجه إتيقا الإتصال، وأهم فكرة تدافع عنها الفلسفات الجديدة، والأنثروبولوجيا المعاصرة هي إمكانية أن يصبح الكوني

شكل من أشكال الموضوعية، فعندما أظهر مآسي الآخرين ومآسي الأغنياء والفقراء، ومشاكل الأفارقة والعرب سواءا كانت إقتصادية أو سياسية أو إجتماعية يومية، فإنني بهذا أقوم بقراءة للعالم بأسـره، وهذه الأخيرة تتنوع بين ما هو إنفعالي وما هو عقلي حجاجي، فعندما أنفعل مع الأفارقة فإنني سأتأكد أن سبب مشاكلهم هو ثقافتهم وساستهم لذا أتعاطف معهم وعندما أغوص في قراءة مشاكل يومياتهم أتأكد أن الغرب من وراء هذه المشاكل، فهذه هي القراءة العقلانية، المنطقية والواقعية لرسائل الإتصال التي تحاول أنثروبولوجيا الإتصال التأسيس لها، لإعطاء صورة إنسانية وأخلاقية للعالم.

إن موضوعية وسائل الإتصال تتمثل في القدرة على إقتحام العالم الخاص بالآخر وما مدى التجاوب والتفاهم مع وضعيته بشكل عقلاني وواقعي ومن هنا يمكن أن نؤسس لكونية المعلومة ذات الأبعاد الإنسانية، ومن ثمة لقراءة موضوعية لهذه المعلومة، وهذا لن يتحقق إلا من خلال ما سماه هبرماس بالفعل التواصلي المبني على معرفة الآخر في ذاته، وليس لغاية أو مصلحة. وأخيرا، نؤكد على أن أنثروبولوجيا الإتصال المرتبطة. بما بعد الحداثة، حاولت أن تجمع العالم الذي تجزء وأن تعيد النظر في قيمه ومعانيه، وبتعبير آخر إن أنثروبولوجيا الإتصال المابعد حداثية أعادت وصف العالم على أساس أن الكل يشارك في بناء ما هو كوني. ورفض فكرة أو إيديولوجية التمييز العنصري بين الإثنيات والثقافات، وبهذا يمكن تحقيق المعاني الإنسانية الكبرى التي رفضتها الإيديولوجيات والفلسفات الشمولية